العامل النفسي واثره في صيرورة الحركة التاريخية عند المفكر العراقي (على الوردي)

ا.م.د. كاوه عزيز برايم
جامعة صلاح الدين / كلية الآداب
Kawa.braim@su.edu.krd\07504549886

مستخلص البحث:
منحت المدارس المختلفة لماهية فلسفة التاريخ قيمة وقوة علمية كبيرة خلال العصر الحديث، من خلال منحها تفاسير متنوعة لكيفية سير العملية التاريخية، وكانت احدى تلك المدارس تلخص في المفهوم النفسي المرتبطة بذاتية الإنسان التي تعتبر العامل والمحرك الرئيسي للحياة إلى جانب العامل الزماني والمكاني التي تتشكل منها سير العجلة التاريخية ككل، بالتالي يمكن القول انه بتوظيف أُسس ومرتكزات هذه المدرسة قد يتم الحصول على الكثير من التعقيدات والألغاز المرتبطة بمفهوم ومادة التاريخ وكذلك تحليل الإشكاليات الموجودة في التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الصيرورة التاريخية، العامل النفسي، تفسير التاريخ، مفهوم النزاع والصراع، على الوردي

المقدمة: -

أن الحديث عن المدارس الفكرية المتباينة لتفسير التاريخ يحتاج إلى الكثير من الجهد والمثابرة، لما لها من أهمية قصوى، لاسيما أن تلك المدارس قد منحت التاريخ منطلق علمي كبيرة بعدما كانت مجردة من تلك الأُسس والمرتكزات العلمية فيما مضى، إذ تعتبر المدرسة النفسية ذات البعد الإنساني سواء عند الأفراد أو الجماعات، واحدة من تلك المدارس التي أغنت ومنحت المفهوم التاريخي قيمة علمية جعلتها في عداد المواد العلمية التي يمكن للإنسان والبشرية الاستفادة منها خلال مسيرتها في الوجود، من خلال شرح الكثير من الأحداث والأسباب التي وجدت في التاريخ البشري على مر العصور والتي كانت فيها الكثير من الألغاز والتعقيدات من الصعب إيجاد تفاسير علمية وأكاديمية دقيقة لها، إلا انه عند توظيف المفهوم النفسي وماهية اثره في الصيرورة التاريخية قد عالجت الكثير من تلك الالتباسات، لاسيما عند المجتمعات المتطورة التي عن طريق توظيف تلك المعطيات النفسية تم الحصول على شروحات علمية لتاريخها بعيدا عن روح العواطف والخرافات التي وجدت عند المجتمعات المتخلفة التي سادت فيها، بحيث اصبح العقل والفكر التي بنيت عليها الحياة ممزوجة بالكثير من العواطف والمغالطات للحياة البشرية، خلال هذا السياق اكد الأستاذ الدكتور على الوردي الذى اعتبره احد المفكرين البارزين في عصرنا، على ماهية اثر العامل النفسي لكيفية الصيرورة التاريخية من خلال إعطائه الشرح الوافي لذلك، لاسيما انه أشار وبكل وضوح أن الطبيعة الإنسانية تتسم بالشر كما هي متميزة بالخير، بمعنى أخر يمكن القول انه في الوقت الذي تعمل فيها الإنسانية على التعاون والحوار، تكون الخصومة والنزاع شيء فطرى عندها، بل أن هذه الفطرة هي التي دفعت الإنسان إلى الجهد والمثابرة بهدف البقاء والانتصار على الأخرين، والحال كذلك مع النزعات والأبعاد والدوافع الإنسانية الأخرى من الحب والشجاعة والخوف والقلق والطمع، وما إلى ذلك من تلك الغرائز التي وجدت بغية بقاء الإنسان ضمن دائرة الصراع المشروع البعيدة عن الأنانية والشرور الإنساني في هذه الحياة، بمعنى أخر أن تلك الدوافع من حيث المبدأ مشروعة لدى الإنسان بهدف التقدم والتطور، إذ لولا ذلك لبقي

الإنسان على ما كان في العصور الأولى، أو بالأحرى ما كانت لها من وجود حتى يومنا هذا، وقد تميزت الكثير من الشعوب والأمم الإنسانية في هذا العصر بهذا النوع من الأفكار التي جعلت من الكينونة الإنسانية مزدوجة المعايير والمفاهيم خلال مسيرتها في الوجود من خلال الادعاء أن الشر المطلق يكمن في المال والثروة، وفي الوقت نفسه تعمل المحرمات وتخرج من القواعد الدينية بغية الوصول إليها، كل ذلك نابع من الفهم الخاطئ للذات الإنسانية وماهية الدوافع والغرائز المشروعة التي يتميز الكينونة البشرية بها. فيما يخص طبيعة البحث فقد تم تقسيمها إلى مبحثين أساسين، في المبحث الأول يتضمن ماهية مفهوم الصراع ما بين البشر وأثرها في صيرورة الحركة التاريخية عند المفكر العراقي على الوردي، فيما يتناول المبحث الثاني الكينونة الإنسانية ما بين قوة الغرائز ومنطق العقل واثرها في سير العجلة التاريخية، هذا بالإضافة إلى أهمية الخاتمة في نهاية البحث والتي يمكن تلخيصها في بعض من النقاط الرئيسية والتي تكون بمثابة استنتاجات سياق البحث بشكل عام.

المبحث الأول:

ماهية مفهوم الصراع ما بين البشر وأثره في صيرورة الحركة التاريخية عند على الوردي.

في بادئ الأمر يشير الأستاذ على الوردي([1]) إلى أن الطبيعة البشرية تقتضى مفهوم النزاع والصراع فيما بينهم خلال سير عجلة الحياة، إذ لا يمكن للإنسان الاستمرار في المسيرة التاريخية من خلال مفهوم الوحدة والاتفاق والانسجام الاجتماعي وفق منطق أحادي وبصورة مطلقة التي تميزت بها المجتمعات الإنسانية في العصور القديمة الماضية عندما شعروا انه بالاتفاق والوحدة يمكن تحقيق السعادة والتوجه نحو الأمام، حيث نظروا إلى الأمر من زاوية واحدة بغض النظر عن الزوايا الأخرى للحياة، إذ تحتاج البشرية إلى الأخذ بمبدأ الخصومة والنزاع بغية تحقيق التطور والتقدم بنفس درجة الوحدة والاتفاق، لا سيما أن مفهوم الوحدة بقدر ما يوفر للمجتمعات الإنسانية الصلابة والتماسك، يوفر بالقدر نفسه منطق الجمود والخمول للبشرية، إذ يمكن القول انه لا يمكن وجود تطور إنساني في الوقت الذي تتواجد فيها الانسجام والوحدة الاجتماعية للأفراد والقوة التي تتشكل جراء ذلك، بحيث أن الجمود والركود لدى الإنسان هي توأمة الاتحاد فيما بينهم لا يمكن وجود لاحدهما دون الأخر([2]). هذا ما جعل من البعض أن يعتقد أن منطق الحرب والصراع فيما بين البشر، إنما هي في حقيقة الأمر منطق نهوض وارتقاء الإنسان من خلال عملية البعث والاستنارة التي تؤدى في النهاية جراء كل ذلك إلى إعادة نفسية المجتمعات الإنسانية للتكيف مع الواقع والحياة الطبيعية الجديدة([3])، التي يمكن ملاحظتها عند دراسة التاريخ البشري التي تتميز بوجود أنظمة ومؤسسات متباينة ومختلفة شكلتها الطبيعة الإنسانية المختلفة أصلاً من اجل توظيفها في الحياة، إذ لاوجود للدول والإمبراطوريات والأقوام

[1]. ولد على حسين الوردي في الكاظمية سنة ١٩١٣، ثم تخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٤٣، واستمر الحال إلى أن حصل على شهادة الماجستير من جامعة تكساس الأمريكية سنة ١٩٤٨، وبعد سنتين بالتحديد سنة ١٩٥٠ حصل على شهادة الدكتواره من الجامعة نفسها ومن ثم رجع إلى العراق واشتغل بالتدريس إلى أن وصل إلى مرتبة الأستاذ سنة ١٩٦٢ في علم الاجتماع: للتفاصيل أكثر ينظر، على الوردي، شخصية الفرد العراقي، منشورات دار ليلى، لندن- المملكة المتحدة، ط٢ ٢٠٠١، ص٨٠

[2]. على الوردي، مهزلة العقل البشري، دار كوفان للنشر، لندن- المملكة المتحدة، ط٢ ١٩٩٤، ص٢٠.

[3]. كينث.ن.والتز، الإنسان والدولة والحرب، ت: عمر سليم، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبوظبي- الإمارات، ط١ ٢٠١٣،ص٥٢

والأجناس وحتى القبائل والمجتمعات الصغيرة دون الأخذ بمفهوم الصراع و الحروب التي كانت الأساس في قيام كل ما ذكرناه بمعنى أدق يمكن القول انه مهما حاول الإنسان إبعاد منطق الحرب عن نفسه وفي الواقع، فانه من المستحيل تطبيق ذلك كونها غريزة أساسية مزروعة في الذات البشري بصورة عميقة وجذرية[1]. لاسيما أن حركة الإنسان وقوة قدرتها في النشاط الحيوي خلال وجودها مرتبط اشد الارتباط بمفهوم والية الدفاع والهجوم بغية ضمان بقاء وإدامة البشرية كهدف نهائي وأخير لها وتحقيق سبيل التقدم والتطور المرجوة بنوع من الاطمئنان من خلال الأخذ بالمزيد من الطرق والوسائل الضرورية بغية تحقيق ذلك والحصول على المنطق والفهم الصحيح للنفسية الإنسانية، نظراً لكونها الأساس عند تعاملها مع البيئة والطبيعة الخارجية لها، من خلال مفهوم ومبدأ الأخذ والعطاء التي تنتج جراء التفاعلات ما بين الكينونة الإنسانية والطبيعة الخارجية لها[2] بحيث أن الطبيعة الإنسانية وفق منطق يجعلها في حالة من المشاكل والعوائق المختلفة والمتتابعة في الحياة وتفرض على كل تلك الأنواع المشاكل والقضايا العالقة حلول وترتيبات جيدة تتفق مع قدراتها النفسية[3].

هذا ما يمكن رؤيته في عصرنا هذا، إذ أن الإنسان لم يعد كما كان في السابق يرضى بظروف الحياة التي كان تعشها الأجيال الماضية على اعتبار إنها ثابتة لا تتغير، بل تكونت لدى الأجيال المعاصرة مفهوم المحاولة والجهد بغية تحقيق حالة أفضل من خلال فرض إرادتهم على الواقع بهدف ضمان مستقبل أفضل تتطابق وتتلاءم مع الرغبات المشروعة لديهم [4]. بل أكثر من ذلك يتبين من خلال الأُسس التي قام عليه النظام العالمي في الزمن المعاصر من خلال المبادئ التي أكد عليها كبار قادة الحضارة الغربية، انه من الضروري أن لا تقع هذه المنظومة بيد الأمم والشعوب الفقيرة التي تتميز بكونها جائعة، مما يخلق بطبيعة الحال الخطر المحدق علينا باستمرار [5]. ومن هنا تظهر حقيقة أن الصراع متأصل في ذاتية الإنسان وكينونتها، إذ لا يمكن القول إن المجتمعات الإنسانية يسودها الود والأمان بقدر ما يسودها الخصومة والنزاع وهذا ما دفع بزعماء الحضارة الغربية الحديثة إلى الخوف على وجودهم من الأخرين الذين يتربصون بهم للانقضاض عليهم في أيه لحظة وهي سنة الله في الحياة التي لا يستطع أحد إنكارها إلا اذا كان جاهلاً بثوب المتعلم المثقف الساذج. ثم يستمر الوردي في طرح أفكاره اكثر، إذ يشير إلى أن منطق التنازع لا يعني وجود صراع واختلاف ما بين الكينونة الإنسانية نفسها، بل يجب أن تتصف النزاع على العرف والتقاليد والأفكار المورثة، إذ أن المجتمعات المتخلفة حضارياً تتميز بالكثير من الاختلافات العميقة المتجذرة أصلاً لكونها قائمة على أُسس الطابع الشخصاني بعيداً عن روح الأفكار والنظم والمؤسسات الاجتماعية، بل الأسوأ من ذلك أن أسباب النزاع نابعه من تنافس الأفراد والجماعات على أداء تلك الأعراف والقيام

---

1. جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ت: محمد لبيب، مؤسسة الخانجي، القاهرة- مصر، ط١ ١٩٦٣، ص١٣٣-١٣٤

2. الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ت: عادل نجيب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠٠٥، ص٣٠

3. ارنولد جوزيف توينبي، بحث في التاريخ، ج١، ت: طه باقر، دار الوراق للنشر، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠١٤، ص٣٥

4. انطونى جيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ت: اديب يوسف، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق- سوريا، د.ت، ص١٣

5. نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، ت: عاطف معتمد عبد الحميد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠٠٧، ص١٠

بوظائف تدبير تلك الأنظمة والمؤسسات بغية توقفها على الأخرين، عكس المجتمعات المتطورة التي يكون النزاع فيها مبنياً على أُسس الاختلاف ما بين المحافظين على الإرث القديم والداعين إلى التجديد والتحول الفكري الحديث، مما يؤدى في نهاية المطاف إلى غلبة القوة الحديثة وتنتج عنها ماهية منطق ومفهوم التقدم الحقيقي، إذ من سمات المجتمعات المتطورة وجود الاختلاف والتنازع حول ماهية الفكر والمبادئ الموجودة التي قامت عليها([1]).

وهذا ما اطلق عليها البعض بمفهوم التنافس ما بين الإنسان على شرط أن يكون متوسط القوة للدوافع بمعنى أخر انه لا يكون وفق مفهوم التعاون والمحبة الخالصة بين البشر أو وفق منطق الكراهية والشر المطلق وهي الحد التي تتوسط بين المفهومين أن جاز القول([2])،فالتاريخ الإنساني متميز بكونه أشبه ما يكون بعمل مسرحي ذو سيناريوهات متباينة بفعل وقوة الصراعات القائمة وفق منطق الفكر والأمر الواقع والتي يمكن تسميتها في بعض الحالات بالمفهوم الجدلي عند الأخذ بمبدأ الحروب و الثورات ونوع من الفوضى والاضطرابات الإنسانية التي تشهدها مختلف الأمم والشعوب المختلفة من الناحية الثقافية، لاسيما مع حدوث نوع من التراجع والانتكاس الاجتماعي التي تفرض ذلك المبدأ الثوري ذو منطق التغير الذي لا مفر منه في حياة البشر([3]). لأنه في الأساس أن الإشكالية لا تكمن في ذات الإنسان بقدر ما تكون في المنطلق الفكري لديها، إذ لا يمكن لشعب أو أمة أو أيه مجتمع أن يفهم في الإشكالية والالتباسات عندها ما لم يدخل ساحة ومنطق الميدان الفكري بغية حلها والوصول بها إلى المجد الإنساني من خلال تعمقها والخوض في غمارها من اجل التقدم والتطور الحضاري المنشود([4])، لأنه كما هو معلوم أن الطبيعة البشرية تفرض عليها الابتكار والتحول في المجالات السياسية والثقافية والمنطق الأخلاقي بمعزل عن التحولات البيولوجية والوراثية لذاتية الإنسان وكينونتها الداخلية، إذ يتم إيصال ونقل تلك الابتكارات إلى الأجيال القادمة عن طريق الأعراف والتقاليد التي تتميز بكونها من الأُسس والأنماط الإنسانية التي تجعلها قابلة للتكيف مع الواقع وتكوين الأُسس الجديدة للمجتمعات من خلال خضوعها للابتكارات الجديدة([5]).الشيء الجدير بالذكر أن ماهية قوة الإنسان في مسيرتها الوجودية إنما تأتي من خلال قوة وعظمة الأفكار والعقائد التي تحملها، بالتالي فان الأساس في أحداث التغيرات يأتي من تغير وتطوير الأفكار التي بدورها تعمل على منح الإنسانية الاطمئنان النفسي وإرشادها بصورة تكون متوافقة لما يريدها الفكر والمنهج التي تسير عليها، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار المنطق الإيجابي أو السلبي لماهية الفكر بالأساس الذي يتوقف على ذاتية الإنسان نفسها من حيث مدى فهمها وتصورها وتفسيرها للأُسس والمرتكزات التي قامت عليها تلك الأفكار والعقائد([6])، إذ يمكن القول أن هذا المنطق النفسي للتاريخ يمكن ملاحظتها بصورة واضحة خلال الأحداث التي وقعت أبان الثورة الفرنسية وما بعدها،

1. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٢١
2. جوزيف فرانكلين، العلاقات الدولية، ت: غازي عبد الرحمن، مطبوعات تهامة، جدة –السعودية، ط٢ ١٩٨٤، ص٨٩
3. ازيا برلن، ضلع الإنسانية الاعوج، ت: محمد زاهي، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠١٣، ص٣٣.
4. مالك بن نبي، شرط النهضة، ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١ ١٩٨٦، ص١٩.
5. ول ديورانت، دروس في التاريخ، ت: علي شلش، دار المعارف الصباح، الكويت، ط١ ١٩٩٣، ص٧٥-٧٦.
6. مجموعة من المؤلفين، فلسفة التاريخ، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، ط١ ٢٠١١، ص٥٨٤

لاسيما من خلال الصراعات الاجتماعية والانقسامات الفكرية التي تشكلت وتمخضت عنها ومنحت سمة فكرية واضحة لأوربا الحديثة(1)،التي هي من مميزات المجتمعات الحية التي تؤمن بضرورة وجود التنافس والصراع والسخط على المنظومة السياسية والاقتصادية من حيث القوانين والتشريعات الفكرية، إذ لاوجود للمجتمعات المنسجمة والسوية من الناحية الفكرية في الحياة البشرية(2).عند الحديث عن هذه النقطة يظهر لنا مدى المغالطات التي وقع فيها الكثير من الباحثين والدارسين للتاريخ الحديث سواء للمجتمع العراقي أو المجتمعات الأخرى في ما يسمى بشعوب العالم الثالث التي غالباً ما كان تنادي بضرورة الصف الواحد وان التخلف نابع من الاختلاف والانقسامات ما بين أفراد وطبقات المجتمع الواحد، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل اكدوا انه من الضروري لنجاح أيه دولة أو مجتمع في العالم إنما يكون وفق منطق الرؤية الواحدة حصراً التي تجعل من الشعوب متقدمة حضارياً، وان عكس ذلك أي وجود للتنوع الفكري إنما يشكل كارثة وتخلف حضاري يكون من ثمراتها، والشيء الذى أريد طرحه هنا أن الكثير من الناس في العراق كانت ترى أن سبب تخلف هذا البلد إنما هي بسبب كثرة الانقسامات والصراعات السياسية وقد يكون ذلك صحيحاً من حيث النظرة السطحية للأشياء، إلا أن ذلك لم يكن السبب ولم يكون هنالك في العراق أو أي بلد أخر في هذا العالم وحدة فكرية على مر العصور، ولم تكن ذلك سبباً في تخلفها وإنما هنالك عوامل ومسببات أخرى لا نود الخوض في غمارها كثيراً.

بالتالي فان الصراع المشروع ما بين الإنسانية أن جاز القول هو الأساس في أحداث التحول والتطور المنشود من خلال أن الإنسان يجد فيها كينونته الحقيقية ويصبح سيد نفسه من خلال البناء والتشييد الحضاري وبعكس هذا المنطق تفقد ماهيتها وتتجه صوب الانحدار من خلال فقدان السيطرة والتحكم بمفهوم الصراع أصلاً كما هو معلوم، إذ أن الصراع موجودة في المجتمعات الإنسانية سواء كان بين التمدن والحضر وبين البداوة والريف، أو ما بين الظلم والعدالة وغيرها من المكونات الأساسية للمجتمع الإنساني في هذا الوجود (3). إذ يؤكد الأستاذ على الوردي على انه من المستحيل أن تسير المجتمعات وهي في حالة من الانسجام والوحدة الفكرية نظرا لكونها فاقد لاحد اطراف القوة المحركة من خلال تشبيه المجتمع بالإنسان الذي يكون مربوط لاحد قدميه بالأخر وهي تحاول أن تيسير في الطريق فكيف يكون ذلك، والأمر ينطبق على سير المجتمعات الإنسانية إما أن يبقى ضمن العرف والتقاليد القديمة التي تجعل منها مقيدة ومربوط القدمين أو تعمل على ضرب تلك المفاهيم التقليدية التي تتمخض عنها الصراع الإنساني ذو الطبيعة الاجتماعية والفكرية مما يمهد الطريق امام القوى الاجتماعية فصل حبل الارتباط والسير نحو الأمام والتحول الحضاري(4).حيث تقتضي طبيعة الإنسان أن يكون في سعي ونضال مستمر ومتصل بغية الوصول إلى الكمال المقصود، إذ لا يمكن أن يتوقف التحول والتطور والسعي الإنساني على فترة أو جيل محدد، وإنما يجب على كل الأجيال المتلاحقة

1. نورمن هامبسن، التاريخ الاجتماعي للثورة الفرنسية، ت: فؤاد اندراوس، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠١١، ص٢٦٩.
2. كرين بريتون، دراسة تحليلية للثورات، ت: عبد العزيز فهمي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠١١، ص١٩-٢٠.
3. على حسين الجابرى، فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر العربي، دار الكتاب الثقافي، اربد- الأردن، ط١ ٢٠٠٥، ص٤٠.
4. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٢١.

الاستمرار بالسعي والنضال من اجل الحياة، لاسيما أن كينونة الإنسان تحوي في طياتها الكثير من القوة والعناصر الناشئة للتطور والتحول وظيفتها مساندة الإنسان في هذا السير والاستمرار بها أن أراد ذلك[1]، إذ أن الإنسان قد حاز الكثير من المميزات والصفات النفسية والذاتية من قبل العناية الإلهية تجعله قادراً على أحداث التغيرات المنشودة والمطلوبة والوصول إلى اقصى عمليات التطور والتحول في الحياة التي يمكن تسميتها ذروة الكمال البشري[2].نظراً لكون الطبيعة البشرية من الداخل متميزة بنوع من المفهوم الحضاري على اعتبار أن سير الحركة التاريخية عند الإنسان تأخذ نهجاً علمياً تؤكد على أن دور الكينونة البشرية في الأساس خلق من اجل التطور والتقدم الحضاري بمعزل عن دراسة تطور الجنس البشري[3]،لا سيما إذ ما أخذنا بنظر الاعتبار أن التحولات والتغيرات الاجتماعية لا يتم إلا عن طريق توظيف ماهية مفهوم التنافس والصراع كأساس في أحداث ذلك وفق المنطق النفسي للإنسانية بشكل عام ومن سمات ذلك التنافس منطق الحروب بين البشرية التي تندلع جراء ذلك كقاعدة عامة للحياة[4]. يمكن القول إن الطبيعة النفسية للإنسان مركبة بشكل لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تأخذ منحى التراخي والخمول، بل يجب أن يكون لمنطق التنافس والصراع الأساس والمرتكز التي يمكن بناء مفهوم التغير والتحول نحو الأمام بغية تحقيق المأرب الإنسانية الداعية إلى التجديد والتحديث كفطرة بشرية لا يمكن للإنسان التغاضي عنها وتجاوزها لأنها تؤدي في نهاية المطاف إلى تكوين إشكاليات كبيرة ومعقدة تذهب بالمجتمعات الإنسانية إلى الهاوية والانحدار على كافة المستويات والجوانب المتعلقة بالحياة. يستمر على الوردي في طروحاته النفسية، فيشير إلى أن الإنسان البدائي الخالي من المفاهيم المدينة والتحضر كان يعيش في جو من الود والسعادة والاطمئنان النفسي وفق منطق القناعة التامة بذلك العيش البسيط، إلا أن الأمور قد تغيرت مع التحولات التي شهدتها البشرية نحو التمدن والتطور الحضاري، والتي فرضت عليها من الناحية الذاتية النفسية الكثير من الجهد والعمل بغية إيجاد الحلول المناسبة للمسائل والمشكلات المعقدة التي ظهرت مع تلك التحولات والتي لم تكن معروفة في عهد السابقين من الآباء والأجداد، إذ يمكن القول أن الطبيعة الإنسانية سار في طريق ذو اتجاهين مختلفين احدهما تمثلت في كونه اصبح مبدعاً خلاقاً من جهة، ومتعب وشاقا كادحاً من جهة أخرى[5].بمعنى أخر يمكن القول أن سير وحركة الإنسان في هذا العالم تكون وفقاً لضغوط يتميز بكونها مجهولة المعالم في احد أوجهها من الناحية النفسية للإنسان، بينما تتحرك الأطراف المعلومة بالوعي والإرادة البشرية على أساس السببية لمبدئي المكان والزمان[6]، إذ أن الفطرة البشرية تتحتم ذلك من خلال أن ذات الإنسان وكينونتها لا تعني شيء دون أن يكون لها قيمة ملكية تجد البشرية ذاتها في هذا الوجود بصورة متدرجة شيئاً فشيئاً إلى أن تكتمل القيمة والمنطق الذاتي للإنسان من خلال قوة الملك والتي يطلق عليها البعض بمفهوم (الأنا) التي تكون مجردة ولا شيء دون

1 هاشم يحيى الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٧، ص٢٥٨.
2. مسلم الجابرى، العقل والتاريخ، دار مكتبة الهلال، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٥، ص٢٣٤.
3. قيس ماضر فرو، المعرفة التاريخية في الغرب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠١٣، ص٤٦.
4. مجموعة من المؤلفين، ما التاريخ الان، ت: قاسم عبدة قاسم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠٠٦، ص٧٢.
5. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٢٦.
6. ليوتولستوي، الحرب والسلم،ج٢، مكتبة مدبولى، القاهرة- مصر، ط١ ١٩٩٥،ص٥٨٢.

امتلاكها للماديات في هذا العالم[1]. وقد ظهر المفهوم خلال العصر بصورة واضحا جداً من خلال التغيرات التي حصلت في الذات والنفس الإنساني، التي تميزت بكونها أصبحت مرتبط اشد الارتباط بمفهوم الملكية حتى ظهرت معها الشعارات والأفكار التي تؤكد أن ذاتية الإنسان تظهر وتكون لها الوجود الحقيقي من خلال حجم وقوة الملكية التي بحوزتها وليس في ماهية كينونتها الطبيعة[2]، إذ يمكن اخذ الكثير من الاعتبارات والأُسس للمنطق الخارجي المتمثلة بالطبيعة والبيئة التي يتواجد فيها من خلال ماهية التفاعل ما بين ذات الإنسان وبيئتها الخارجية التي تؤثر في الإنسان وتتأثر بقدراتها وفق مبدأ الأخذ والعطاء المتبادل[3]،والتي يمكن اعتبارها احد المميزات المغروسة في الذات الإنسانية باعتبارها ذو كينونة تجذرت في نفسيتها الانطلاق نحو الأمام وتكوين القدرات الحضارية المنشودة بنوع من العناية الربانية لله سبحانه وتعالى في هذا الكون[4].

هذه النقطة تحتاج إلى شيء من التفسير، إذ تقتضى الطبيعة البشرية أن يكون للإنسان خياران احدهما يتمثل في بقائها ضمن دائرة الطور البدائي بمعزل عن التطور والتحول الحضاري المتمدن من اجل حالة نفسية مريحة ومطمئنة بعيداً عن روح القيم والمفاهيم المادية التي تجلب معها الكثير من الضوضاء والمشاكل النفسية، أو أن يعمل الإنسان على أحداث التغيرات والتوجه نحو الأمام بغية الوصول إلى الكمال الحضاري المطلوب، وحينذاك عليه تقبل الأمور السلبية التي تنتج عنها والتي تظهر في حياتنا اليومية وبصورة اكثر من واضحة، بحيث تحول العالم رغم البعد فيما بينها بألاف الأميال، إلا انه بفعل قوة التكنلوجيا الحديثة أصبحت بمثابة قرية صغيرة، إلا أن التطورات التقنية تلك جلب معها الكثير من الأمراض النفسية المعقدة معها للإنسان، وهذا ابسط مثال على المساوئ التي تكون وفق اكثر المتفائلين بالتطور الحضاري متساوية مع الإيجابيات الناتجة عنها.

ثم يأتي الأستاذ على الوردي إلى مفهوم أخر يتمثل في انه من السذاجة والبساطة أن يعتقد الكثير من أصحاب الرأي والفكر أن بمقدورهم تفكيك وتجزئة البنية المدنية والحضارية، إذ يعتقد هؤلاء المفكرين انه من الممكن الأخذ بالمبادئ والقيم الحضارية المفيدة من القدرة الأبداعية والتجديدية وطرح القيم الأخرى المضرة من القلق والشقاء إلى خارج حدود التطورات البشرية تلك، أن المنطق والواقع العلمي الحديث تثبت بطلان حقيقية ذلك الأمر، إذ انه من المستحيل التنعم بخيرات المفهوم الحضاري دون الأخذ بالمساوئ الناجمة عنها في الوقت نفسه، إذ لا يمكن تجزئة المعطيات المدنية بأي شكل من الأشكال كما يدعها هؤلاء المفكرين[5].لاسيما أن المنطق العلمي يوحي إلينا أن الحضارة ذو بعدين أساسين احدهما تخص الجانب النفسي للإنسان والتي تشمل كل ما يتعلق ويخص السلوك البشري للأفراد والأنظمة التي بنيت عليها، فيما يخص البعد الأخر الجانب والظواهر المادية لها[6]،بحيث أن احدهما تكون صورة مكتملة للأخر من خلال القيام بالوظائف والمهام الحضارية المطلوبة التي قد تتميز بكونها متضاربة ومتضادة في أن

1. جون ديوي، الطبيعة البشرية، ص١٣٨.
2. اريك فروم، الإنسان من اجل ذاته، ت: محمود منقذ الهاشمي، د.م، ط١ ٢٠٠٧، ص١٦٩.
3. الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٣٠
4. ابي الحسن الندوي، اهمية الحضارة في تاريخ الديانات، مكتبة العلامة الحسيني، د.م، ط١ ١٤٠٢ ه، ص٢٧
5. على الوردي، مهزلة العقل البشري،ص٢٦
6. رالف لنتون، الاصول الحضارية للشخصية، ت: عبد الرحمن اللبان، دار اليقظة العربية، بيروت- لبنان، ط١ ١٩٦٤، ص٦١

واحد ضمن بوتقة واحدة رغم التنافر الواضح بينهما[1]، وهذا ما يفرض على الإنسان خيارات لا مفر منها تتمخض حول ماهية الركود والاستقرار الحركي التي تتسم بكونها تبعث الانهيار الفكري للمجتمع الإنساني وما بين التقدم والتحول الحضاري التي تتميز بكونها ممزوجة بالكثير من الصعاب والشعور بالألم والخوف[2].

يعتقد البعض أن مفهوم المجتمع المثالي وجدت في العصر الحاضر بمعزل عن التصورات السابقة للأمم والمجتمعات الإنسانية خلال العصور الماضية الذي كانت ذو أحلام واقعية لماهية وجود وكينونة القوى الاجتماعية بعكس التصورات المعاصرة، التي أرادت تكوين بنية اجتماعية مثالية خالية من الشرور المتمثلة بالطمع والجشع والشقاء الإنساني وكذلك الخطر والخوف والفقر وصولاً إلى الأعمال الوحشية وفقدان الأمن والأمان للبشرية ككل، بمعنى أخر تكوين نوع من الطوبائية التي تميزت بنوع من الأعمال الأدبية المتميزة بالسخرية والهجاء[3] إذ تكمن الإشكالية في أن الإنسانية تفتقد إلى الكثير من معاني الوعي والفهم لماهية عملية التقدم والتطور، الذي يحتاج فيها البشرية إلى الفهم العميق و المتجذر لمعرفة العوامل والأسباب التي تدفع نحو الأمام بمعزل عن العوامل التي تتسبب في تراجعها في الوقت نفسه، بمعنى أخر انه على البشرية رفع مستوى القوة الفكرية لديها بغية معرفة الأحداث التي تتشكل في مسيرتها الوجودية[4] وهذا ما يتطلب من الإنسان أن يعرف حقيقته وطبيعة وجوده وكيفية سير عجلته في هذا العالم فأن استطاع أن يصل إلى هذه الدرجة من الوعي و الإدراك لاسيما من قبل المفكرين وأصحاب الرأي يمكن حل هذه المعضلة التي قال عنها الأستاذ على الوردي انه لا يمكن أن يتواجد الاطمئنان و السعادة مع التقدم و التطور المتميزة أصلاً بالكثير من السلبيات الممزوجة مع الإيجابيات كما هو معلوم، عكس ما يدعها البعض من المفكرين الذين يرون انه بالإمكان الجمع ما بين المعطيات الحضارية والراحة والسعادة البشرية في أن واحد، والتي تعتبر فهم غير علمي وغير سليم بمقاييس الأمر الواقع. بغية إيضاح اكثر يعطي الأستاذ على الوردي تفاصيل ادق لطروحاته حيث يشير إلى أن الطبيعة البشرية تقتضى انه عند حدوث تغير جذري في حياة الإنسان بمعيار التحرر والخروج على التقاليد الموجودة في المجتمع، قد تخرج الأمور عن السيطرة والتحكم الإنساني في الحياة، بحيث ينظر الإنسان بالريبة والشك لكل ما يحيط من مسائل وأمور حياتية، بالتالي تتشكل نوع من الفهم والوعي ترى الأمور بمجملها سيئة ولا تصلح للحياة بكونها أصبحت غير مفيدة وغير صالحة جملة وتفصيلاً، بمعنى أخر أن ماهية الشك تعمم على أمور الحياة كلها ولا تقتصر على جانب واحد من الحياة، لأنه كما يشير الأستاذ الوردي انه اذا وقع الشك والريبة على مفهوم واحد بكونها ضار قد تعمم على كافة الأمور وان كانت بعض منها ذو قدرة إيجابية وهو ما يجعل تلك التغيرات مفيدة من ناحية وكارثية ومضرة من ناحية أخرى للإنسانية بصورة عامة[5].هذا التصور الخاطئ عند الإنسان عندما يشعر بنوع من النقص في كينونته ومسيرته في الوجود، مما يخلق نوع من الحالة النفسية بحيث تتكون عنده الشك حول كل ما يحيط به من أمور سياسية واقتصادية واجتماعية بغية سد هذا

1. ارنست كاسيرز، فلسفة الحضارة الإنسانية، ت: إحسان عباس، دار الاندلس، بيروت- لبنان، ط١ ١٩٦١، ص٣٧٩
2. اريك فروم، المجتمع السوي، ت/ محمود منقذ الهاشمي، د.م، ط١ ٢٠٠٩، ص١٣٣
3. ازيا برلن، ضلع الإنسانية الاعوج، ص٤٧
4. مالك بن نبي، شروط النهضة، ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط١ ١٩٨٦، ص١٩
5. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٢٧

النوع من النقص التي تتميز بأنها تشبه المرض المعدي للإنسان بصورة عامة والوصول إلى منطق علمي يخلصها من ذلك[1]،نظراً لكون الكينونة البشرية قد تميزت بوجود دوافع وغرائز تمنحها القوة والقدرة على القيام بنوع من السلوكيات وفقاً لمنطق تلك الدوافع التي تعطي في مجملها ما يعرف بالخبرات والعادات التي تشكلت عند نفسية القوى الاجتماعية[2]التي تتميز بأنها الأساس في الوجود الإنساني الذي يسعى إليها في مسيرته للحياة، نظراً لكونها هي التي تنمح البشرية ماهيتها في هذا العالم، إذ لو فشلت في تحقيق هذا الهدف فأن حياة الإنسان تتصف بنوع من اليائس وعدم الاطمئنان والفوضى الوجودي للقوى الاجتماعية تلك، والتي تتمخض عنها في الكثير من الأحيان الدمار والخراب جراء ذلك الفشل في الحياة[3]. والشيء الجدير بالذكر انه في كثر من الأحيان يعتقد أن الذات البشري انه يسير في حركته بنوع من الوعي والإدراك الحسي التي تجعل من الإرادة البشرية وكأنها المسيطرة على الحياة، وهو غير صحيح في واقع الأمر فهنالك الكثير من التصرفات الإنسانية تكون نابعة من قوى غير واعية تتواجد في أعماق النفس والذات الإنساني[4]،والدليل كما يؤكد عليها البعض أن الكثير من التغيرات الثورية شهدت فيها القتل والدمار والخراب للمجتمعات الإنسانية، رغم أن الذين تسببوا في ذلك كانوا في الحقيقة شخصيات مسالمة لم تمارس القتل والوحشية في حياتها الطبقية الاجتماعية، إذ كانوا قضاة خلال الفترة التي سبقت تلك التغيرات[5]. بمعنى أخر أن المجتمعات الإنسانية في كثير من الأحيان تؤثر فيها معطيات من الدوافع تتميز بكونها غير واقعية، والغريب في الأمر أن قوة تلك الدوافع تكون بمقدار قوة الأمور الواقعية وهذه هي طبيعة الكائن الإنساني في هذا الوجود التي تريد العزوف عن مفاهيم خارج عن طاقتها [6].

بالمجمل يمكن القول أن التغيرات البشرية غالباً ما تتشكل فيها صراعات ما بين القوى التي كانت لها الهيمنة والمتمثلة بمصالح مجموعة من الأفراد، والقوى التي باتت هي المسيطرة والمكونة من قبل أفراد أخرين ذو مصالح معينة والمتحكمة في عقل المجتمع أثناء عملية التغير تلك، هذا فضلاً أن الكثير من الأمور خلال الصراع بين الطرفين تكون خارج عن التحكم والسيطرة الفعلية للإنسان، رغم إنكارها لذلك بأعتبار عملية التغير تلك إنما هي في المجمل تحت تصرف العقل والإدراك البشري، وهو غير دقيق في حقيقة الأمر وبعيدة عن المنطق العلمي. يستمر الأستاذ على الوردي في طروحاته ثم يأتي إلى ذكر نقطة أخرى تتلخص في أن حركة المجتمعات البشرية تتميز بكونها تسير على ماهية مفهوم الصراع فيما بين المصالح المتباينة للأفراد والجماعات الإنسانية المختلفة ضمن المجتمع الواحد، وتكون المنافسة على شاكلة التجار الذين يتنافسون فيما بينهم بغية تحقيق الأرباح الممكنة، تكون الحالة التنافسية فيما بين الأفراد على نفس النمط والشكل بغية

1. هشام الشرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار المتحدة للنشر، بيروت- لبنان، ط٣ ١٩٨٤، ص٨٧
2. كامل محمد محمد، سيكولوجية العقل البشري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ١٩٩٦، ص٩
3. عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية – مصر، ط١ ٢٠٠٢، ص١٨٥
4. روبرت غرين، قوانين الطبيعة البشرية، ت: إبراهيم محمد المالكي، دار المالكي للدراسات والنشر، د.م.ت، ص٤
5. غوستاف لوبون، فلسفة التاريخ، ت: عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي، لندن- المملكة المتحدة، ط١ ٢٠٢٠، ص٤٣
6. سيغموند فرويد، علم النفس الجماهير، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٦، ص٣٧

تحقيق المصالح والمنفعة الذاتية لهم وهو ما يشكل في نهاية المطاف تنمية القدرات العلمية والاقتصادية والسياسية لأبناء تلك المجتمعات التي تميزت بذلك النوع من الصراعات(1).

بالتالي يمكن القول أن الإنسان بطبيعته وفطرته ذو نزعات في مجملها يتشكل عندها الاعتقاد إنها قادرة على التأثير في المسار الإنساني لهذا العالم والوجود، وخير مثال على ذلك الأثر ما نتج عن المسار السياسي التي تأثرت بالمنطق والسلوك البشري ككل(2)، إذ ترجع فكرة الصراع عند الإنسان منذ أن طرد من الجنة واصبح يمتلك وفقاً لذلك القدرة والحيوية على صنع التغيرات من خلال تسخيرها للطاقات الموجودة في كينونتها الخلقية التي تساعدها على تكوين نوع القدرة بغية تكوين أرضية مناسبة عند التعامل مع أبناء جلدتها أو تعاملها مع المحيط الخارجي المتمثلة بالطبيعة(3)،وهي تفسير للميزة التي ينفرد بها الكائن البشري والمتمثلة بماهية الارتقاء والتطور، من خلال توظيف دوافع المتعة في ممارسة مهاراتها وتحسين أوجه تلك القوة المهارية عندها في هذا الميدان(4).

كل ما ذكرناه في الأسطر السابقة تبين وجهة نظر البعض، الذين يعتقدون أن المجتمعات الخالية من الصراع تعتبر في الواقع غير موجودة مطلقاً، إذ أن ذلك يعني مجرد قوالب وتركيبات صناعية لا تمت إلى الطبيعة البشرية بشيء، إنما يمكن إيجاد تلك التصورات عند المعادن والمكونات المادية فقط التي تتميز بصفة واحدة، بينما عند الإنسان الأمور والكينونة تكون مختلفة تماماً، إذ أن اخذ الحيطة والحذر وماهية التدبير إلا دلائل واضح على أن البشرية في حالة صراع لا يمكن إنكارها باي شكل من الأشكال، فضلاً عن الشعور بالنقص وعدم الكمال لبشرية وان زعموا ذلك(5). إذ يشير الكثير من المفكرين إلى أن تلك العمليات التطورية ذو الصبغة العدائية في المجتمعات إنما هي نابعة من قوة نفسية يتملكها الإنسان والتي تتخذ أشكال ومراحل مختلفة وفق المنطق والمفهوم الحضاري التطوري للبشرية والتي تتلخص بالتحول من البدائية إلى حالة التمدن والتحول نحو الأفضل على أُسس من القواعد والقوانين الثابتة(6)، لأنه من الثابت والمعلوم عن الإنسانية انه يسلك كل الطرق ويوظف كافة الأساليب بغية تحقيق السعادة الذاتية لهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو حتى شعوب وكيانات اجتماعية بأكملها، الذي يحتاج إلى الكثير من العمل و الجهد بهدف ضمان ونجاح تلك العميلة والدفاع عنها الوصول بها إلى اقصى الغايات البشرية(7).عند الحديث عن هذه الطرح يمكننا القول وفق علمنا المتواضع أن مسألة الصراع فيما بين البشر قد تأتي بالكثير من الجوانب المفيدة للإنسان، إذ أكدت الكثير من التعاليم للأديان السماوية من خلال النصوص المقدسة التي أكدت على انه هنالك خير وفادة لكثير من الحروب والصراعات الإنسانية وعلى مر العصور والواقع تعلمنا وتنمحنا الكثير من الأدلة التي قد اعتقدنا أن تلك الأمور تبدو سيئة من حيث المظهر إلا

1 على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٨٨

2. دايفد باتريك هوتون، علم النفس السياسي، ت: ياسمين حداد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دوحة – قطر، ط١، ٢٠١٥، ص٢٠

3. ايريش فروم، جوهر الإنسان، ت: سلام خيري، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، ط١، ٢٠١١، ص١٦

4. ج. برونوفسكي، ارتقاء الإنسان، ت: موفق شخاشيرو، المجلس الوطني للثقافة والادب، الكويت، العدد (٣٩) لسنة،١٩٨١، ص٦٢

5. حسن الملطاوى، فلسفة التقدم عند العقاد، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط ١٩٩٦، ص٧٢

6. عطيات ابو السعود، فلسفة التاريخ عند فيكو، منشاة المعارف، الإسكندرية- مصر، ط١ ١٩٩٧، ص٩٣

7. عبد الحميد صديقي، تفسير التاريخ، ت: كاظم الجوادي، دار القلم، الكويت، ط١ ١٩٨٠، ص١٨

أنها كانت مفيدة وذو أبعاد إيجابية للبشرية ككل، والمشكلة تكمن أن الإنسان دائما ما ينظر إلى الأمور من الناحية الظاهرية بمعزل عن الخفايا والنتائج التي تظهر مع الزمن أنها كانت في صالح البشر رغم انهم شعروا بأنها مضرة في بادئ الأمر.

إلا أن تلك التطورات وفق منظور وطروحات الأستاذ على الوردي كما يشر إليه هو انه لا يكون بهذه السهولة والبساطة، بل يتطلب الكثير من التضحيات الإنسانية بالدماء والخراب والقتل والتدمير النفسي وحرق الأكباد والأفئدة، كما هو التاريخ الحقيقي من الناحية العلمية والمليئة بتلك التصورات، إذ يقول أن الحياة الإنسانية قد علمتنا انه لا تمنح الأشياء دون مقابل، بل على البشرية دفع الأثمان الباهظة عند الطلب الكبير والمفيد، بمعنى أدق أن التضحية يجب أن تكون وفق حجم الطلب الحضاري للإنسان ([1]).

ذلك أن الفعل الإنساني في ذلك الطلب إنما هو متميز بحرية الاختيار، على أساس انه رغم اثر الماديات والطبيعة في حركة التاريخ ككل، إنما يكون الكينونة البشرية هي العامل الرئيسي والحاسم في أحداث ذلك ورسم ملامحها وجوانبها المتعددة([2])،والطبيعة البشرية تلك إنما تتميز بالكثير من الدوافع والغرائز تكون متباينة ومختلفة من حب الغنيمة والخوف والشك والغضب والكراهية والتحرر من التقاليد والعرف القديمة وتكوين الأرضية المناسبة للمفاهيم الجديدة والوصل إلى المكانة والشهرة والمال وغيرها من الأمور التي يحاول فيها الإنسان إثبات ذاتها([3])،وهذا ما يتطلب التضحية التي يحتاجها الإنسان عند القيام بالعمل الحضاري نظراً لكون تلك المميزات متباينة وهذا ما يعطي مفهوم أن المصالح الإنسانية تكون مختلفة قد يعتقد البعض أن بعض تلك المفاهيم قديمة وتحتاج إلى أصلاح أو تغير بينما يعتقد الأخرون عكس ذلك مما يولد نوع من الصراع لا ينتهي إلا بالتضحية وتقديم القرابين بهدف إنجاح العملية والتحكم ببقية أفراد وطبقات المجتمع. لأنه كما هي مثبت عند البشرية أن عملية التغير الحضاري في أكثريتها لا تأتي من فراغ، لاسيما في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل تتميز التحولات تلك بأنها متعمقة الجذور النفسي والفكري للقدرة الإنسانية التي تعمل بكل جهد بغية تحقيق الأهداف النهائية لهذا المسار التقدمي([4])، التي تتميز مع الإيجابيات الحميدة للإنسانية بنوع من المساوئ وتنامي ماهية الشر والظلم وخلق النزاعات ذات الطبيعة التدميرية داخل المجتمعات، والتي تكون نتائجها مأساوية في اغلب الأحيان، نظراً لمحاولة بعض الطبقات التي تتسم بانها طفيلية أنانية تحاول سرقة تلك الإنجازات من بقية أفراد الشعب([5])،بمعنى أخر أن ماهية مفهوم الانسجام بين أفراد وطبقات المجتمع تعتبر من المسائل الطوباوية أصلاً، إذ لاوجود لها في منطق العلم والواقع بغية التفسير والشرح لحركة التاريخ الإنساني، نظراً لكون الصراع متجذرة في الذات الإنساني ولها استمرارية مستدامة نابعة من الرغبات والغرائز الإنسانية([6])، لذا يمكن القول أن كل تلك الشروحات تعطينا منطق علمي دقيق أن عملية التغير عند الإنسان تتطلب منها التضحية ونكران الذات وتقديم

1. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٨٨
2. صائب عبد الحميد، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٧، ص٦٠٠
3. جون ديوي، الطبيعة البشرية، ص١٣٥
4. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط٢ ٢٠٠٢، ص١٩٦
5. طارق احمد حسن، العلاقة بين الحضارة والأخلاق، دار المكتبة المصرية، الإسكندرية- مصر، ط١ ٢٠١٣،ص١٤-١٥
6. ازيا برلن، ضلع الإنسانية الاعوج، ص٧١

القرابين بالدماء وتحمل المصائب والكوارث الناجمة عنها، نظراً لوجود معالم الشر والظلم والطغيان عند مجموعات كبيرة من الناس وهذا ما يتطلب تلك التضحيات أن اردنا تجاوزهم والوصول إلى المجد البشري. يستمر الأستاذ على الوردي في إعطاء آرائه وأفكاره، إذ يؤكد على أن البشرية في الزمن الراهن قد تخلت عن الصراعات البدائية التي تميزت بكونها بسيطة ودخلت في نوع من الصراعات الكبيرة ذو النتائج الكارثية، والدليل على تلك التحولات الخطيرة في الصراع إنما تكمن في محاولة وميل الإنسان المعاصر إلى التقليل من الجرائم الاجتماعية من القتل والاغتصاب والنهب مقارنة بتاريخهم القديم، وفي المقابل ظهرت الحروب العالمية الكبيرة المدمرة للبشرية جمعاء التي كانت من ثمرة تلك النزاعات الحديثة بين البشر خلال التاريخ المعاصر([1]).قد نختلف مع الأستاذ على الوردي عندما اكد أن الإنسان المعاصر حاول أن يقلل من الجرائم الصغيرة وتحول إلى الأعمال العدوانية الكبيرة، لأنه من المعلوم أن الجرائم الصغيرة هي جزء من الأعمال الوحشية الكبيرة من خلال الحروب الكبيرة التي تتميز في معظم الأوقات إنها عبارة عن عمليات النهب والسرقة والاغتصاب الجماعي والقتل والتدمير الممنهج، هذا فضلا عن انتشار ظاهرة القتل والاغتصاب عند الأمم الراقية من حيث المظهر المادي والمفلس أخلاقياً، كما هي معدل الجرائم في أمريكا وأوربا التي تعطينا أرقام قياسية عند مقارنتها بالشعوب والمجتمعات المتخلفة ماديا بالمقارنة مع هؤلاء الأمم الغربية.

إذ تكمن الإشكالية أن التاريخ المعاصر للإنسانية قد حولت الكثير من الخيال العلمي إلى منطق واقعي أدت في نهاية المطاف إلى كوارث وكوابيس للحياة الإنسانية، تمثلت في إنتاج أجود واقوى أنواع الأسلحة المدمرة توجت في القنبلة النووية أخر المطاف([2])، وبالتالي فتح باب المحرمات من العبودية والإبادة الإنسانية المعممة حتى وصل الأمر إلى تدمير الكوكب بعينه، هذا فضلاً عن العمل على إخضاع النفس والطبيعة البشرية للتغير بغية التحكم بها([3])،ولم تقف عند هذا الحد بل أن الإنسانية المعاصرة أصبحت مهددة في المجتمعات المتطورة من الناحية النفسية من خلال انتشار عوامل وظواهر القلق والكآبة والجنون والانتحار والانحراف والتشرد وغيرها من المساوئ الإنسانية([4]).

إذ لم تختلف ذاتية الإنسان عن ما كان عليها البشرية من ميول خلال العصر الحديث بالمقارنة مع العالم القديم، بل حسب اعتقادنا المتواضع أصبحت البشرية أكثر عدوانية من السابق. وهذه هي الحقيقة والواقع المؤسف الذى وصلت إليها البشرية من خلال الأسلحة الفتاكة، إذ يمكن القول أن الإنسان المعاصر اثبت انه قادر على الاختراع والأبداع بهدف الموت وليس بغية الحياة والكرامة الإنسانية ([5])، إذ يشير البعض على أن تلك الظواهر إنما هي مجرد بداية الكارثة، إذ أن الإنسان المعاصر إنما ينتظره كوارث وفاجعات اكثر وفقاً للأعراض الدالة على وجود مرض نفسي خطر عند القوى الاجتماعية في الزمن

1. علي الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٨٩
2. اريك هوبزباوم، أزمنة متصدعة، ت: سهام عبد السلام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠١٥، ص٢٨٩
3. ادغار موران، إلى أين يسير العالم، ت: احمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٩، ص٣٧
4. على الوردي، في النفس والمجتمع، مكتبة بساتين المعرفة، بيروت– لبنان، ط١ ٢٠١١، ص٣٧
5. فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، العدد (٣) لسنة ١٩٧٨، ص١٥٣

المعاصر تجلت في خلق القدرات النووية، بدل أن يعمل على إلغاء وتفنيد ظاهرة الحروب ([1]).

بل يشير أخرون إلى أن المفهوم السائد والمتحكم بعقول المجتمعات الغربية المتطورة خلال العصر الحديث، قد بنيت على أساس النزعة اللاإنسانية المبنية وفق المنظور المادي الصرف التي تجلت في حركة الاستعمار واستعباد الشعوب الأخرى حول العالم عن طريق الحروب وسفك الدماء أو باختصار عن طريق نزعة الإبادة البشرية([2])، إذ أن البشرية مع كل تطور وتقدم حضاري يفقد المميزات الخاصة بالإنسانية بصورة تدريجية وعلى مراحل إلى أن تصل إلى قمة تلك التطورات التي تتسم بكونها تحمل معها صفات ومقومات الشرور بعينها([3]).في نهاية المطاف يمكن القول أن الإنسان المعاصر تمكن من الوصول إلى قمة المجد الحضاري والتطوري للبشرية، إذ لم تصل الجماعات الإنسانية إلى تلك المستويات خلال العصور القديمة، إلا أن ذلك لم يسعفها في جعلها ذو كينونة وذاتية تعمل بغية تحقيق اكبر قدر ممكن من الإنجازات المفيدة التي تكون في صالح الوجود العام، بل اختار الجانب والطريق الأخر المتمثلة بتطور النزعات الحربية وإيجاد نوع من الصراعات العالمية بهدف ضمان مصالحها المادية وان كانت على حساب دماء الشعوب والمجتمعات الأخرى حول العالم والتي يمكن ملاحظتها بشيء من التدقيق والدراسة السطحية للأحداث.

المبحث الثاني

الكينونة الإنسانية ما بين قوة الغرائز ومنطق العقل وأثرها في سير الأحداث التاريخية.

يستمر الأستاذ على الوردي في طروحاته، إذ يشير إلى أن الطبيعة الإنسانية خلق وفق منطق معين لا يمكنها التمتع والتلذذ بالنعم والخيرات على نفس النمط والصورة بشكل دوري مستدام إلى ما لا نهاية خلال وجودها في الحياة، بل انه من الطبيعي أن تنتقص تلك النعم والخيرات عند توظيفها من قبل الإنسان بصورة متدرجة شيئاً فشيئاً، والتي يمكن أن نعرفها بقانون المنفعة المتناقضة كما يؤكد على ذلك منطق علم الاقتصاد الحديث في عالمنا المعاصر ([4]). هذه الإشكالية تنبع من ذاتية الإنسان نفسها، إذ إنها تتميز بنوع من التعقيد في الوجود، لاسيما أن النشاط الإنساني مرتبط بفعل القوة النفسية التي تتميز بوجود أليات متعددة الأغراض والوظائف سواء وفق منطق الهجوم أو الدفاع التي تمنح الإنسانية صفة الاستمرار والقدرة على النمو والتطور بنوع من الأمان، لاسيما عند تعاملها مع البيئة الخارجية المتمثلة بالطبيعة والمؤثرات الناجمة عنها([5])،هذا فضلاً عن العامل الأخلاقي التي هي كذلك من الأُسس والركائز الرئيسية في ديمومة التطور الإنساني ومقدرة الإنسان على التنعم بالخيرات المبتكرة، إذ أن القيم الأخلاقية لها الأثر البالغ في ديمومة وإغناء القدرات النفسية ومنحها القوة اللازمة للاستمرار في الحياة المدنية، وفي نفس الوقت عندما يتم أبعاد المفاهيم الأخلاقية تلك، يتجه المزاج النفسي للإنسان نحو الانهيار، وبالتالي يفقد التطور القوة اللازمة له، بالتالي تنتهي ماهية النعم والخيرات

1. ارنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ت: أميم محمود، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، ط٢ ٢٠٠٦، ص٢١٨
2. عبد الوهاب المسيرى، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص١٩٧
3. حسين مؤنيس، الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (١) لسنة ١٩٧٨، ص٢٧٠
4. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٩٢
5. الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٣٠

للإنسانية[1].وهذا ما يؤكد عليه ابن خلدون كذلك عندما يتحول الخير إلى ماهية الشر في النفوس الإنسانية بفقدانهم للقيم الأخلاقية وسياد مفهوم الترف إلى اقصى الحدود وهى من اكثر العلامات الدالة على تبديل وفناء النعم والخيرات للبشرية، لاسيما عندما تتصف النفوس الإنسانية بالقيم المتناقضة على اعتبار إنها من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه من البشر[2]،الذين يحاولون الاستمرار والديمومة في التنعم بالخيرات الحضارية وفق مسلك أحادي الجانب والمتمثل بالقيم المادية بمعزل عن المفاهيم الحقيقة للتطور والتقدم الإنساني والمتمثل بالأعمال والقدرات الفنية والفكرية للحياة وهي من مميزات المراحل النهائية لأية عملية حضارية للإنسان[3]. يمكن القول أن قصد الأستاذ على الوردي في فناء النعم والخيرات هي الجزئيات بينما تكمن الأمر في العموميات في انهيار وتدهور الحضارات البشرية ،التي لا يمكن أن تستمر إلى الأبد ضمن حضارة إنسانية واحدة، بل تنتقل الأمر إلى مجتمع حضاري أخر يقود المسيرة من جديد وهكذا هي الحياة سواء اعتقدنا بصحة ذلك أم حاولنا إنكار ذلك وهذا ما ذهب إليه الكثير من الفلاسفة وكبار رجال الفكر في مختلف الأزمنة عندما جعلوا المعطيات الحضارية ضمن مراحل مختلفة من الولادة والنمو والشيخوخة ومن ثم الموت أن جاز القول، وينطبق ذلك الأمر على الأفراد خلال سير عجلة حياتهم اليومية المختلفة لكل واحد منهم، قد يصل الفرد إلى مراتب متقدمة في حياتها إلا أن ذلك لا يستمر إلى مالانهاية.

وفي سياق طروحاته يأتي الأستاذ على الوردي إلى نقطة أخرى والتي تتمثل في ماهية كينونة الإنسان ومدى ضعفها النفسي أمام قوة ومغريات الطبيعة المحيطة بها، إذ تتميز تلك المغريات بأنها كثيرة ومتنوعة ذو الألوان متعددة، وفائقة القدرة في الجمال والبراقة والخلابة بمستويات عالية، إذ لو استطاع الإنسان التفكير والتأني فيها بنوع من القوة العقلية المتواجدة عندها لوجدها إنها الشر بعينها باعتبارها مكيدة وضعت لها في هذا الحياة إلا أن طبيعتها تفرض عليها عدم التفكير في ذلك في اغلب الأحيان نظرا لكثرة الانشغال والركض وراء الحياة بصورة مستمرة، إذ لا يمكن معرفة أن ذلك من حسن حظها أو انه من سوء حظها، يمكن القول أن الإنسان يركض وراء بعض الأمور لو تامل وفكر بصورة فردية لشعر بتفاهة ذلك الأمر أصلاً، ولفهم انه لا يستحق كل ذلك التعب والعناء والجهد، إلا انه اندفع نحو ذلك بنوع من الأيحاء والعقل الجماعي التي يمكن تعريفها اليوم بالتنويم المغناطسي[4].هنالك بعض التفسيرات الخاصة بالحالة الذكائية والعقلية للإنسان، إذ يمكن القول أن الطبيعة البشرية تحوي في ذاتيتها أنواع مختلفة من القدرات تلك، بعضها يتم توظيفها في شرح وتحليل الأشياء وإيجاد الحلول لها، البعض الأخر يستخدم في مسألة الابتكارات، فيما هنالك قوة ذكائية لدى الإنسان وظيفتها إيجاد نوع من التوازن ما بين متطلبات الإنسان ومراعاة المحيط الخارجي[5]،إلا أن كل ذلك لا يفيدها، بل أن الغرائز تفرض نفسها على المنطق العقلي بحيث يتم تحويل المطالب والنماذج البدائية وكأنها

1. غوستاف لوبون، السنن النفسية لتطور الامم، ت: عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠١٤، ص١٢٩-١٣٠
2. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٥،ص١٧٨
3. جان فاتيمو، نهاية الحداثة، ت: نجم ابو فاضل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠١٤، ص٥٠
4. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٩٢-٩٣
5. محمد طه، الذكاء الإنساني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (٣٣٠) لسنة ٢٠٠٦، ص١٧٥

متطلبات ومفاهيم عقلية مبنية على أساس قوة نابعة من منطق الدوافع العقلية[1]،لاسيما أن كل شيء في هذا الوجود لها مكانة وقيمة عند الإنسان لابد أن يكون وفق نوع من الغرض والدوافع المتصلة بهذه الغرض في الحياة، وهذا ما يجعل الكينونة الإنسانية تتحرك بقواها العقلية بغية إيجاد منطق وقاعدة خلاقة لها تتمثل في القيم الأخلاقية التي عن طريقها يفسرون ويحددون طبيعة وحقيقية الخير والشر في هذا الوجود، بالتالي يبررون الحركة والجهد بغية تحقيق الهدف المطلوب[2].هذا فضلاً عن تأثير العقلية الجماعية في حركة الأفراد نحو هدف محدد، قد تكون هذا الهدف لها قيمة ومكانة بارزة ضمن مرحلة معينة وفق العقلية الجماعية، وان كانت الحركة تلك بمعزل عن منطق فكري وذو معنى محدد، والجدير بالذكر أن الإنسانية بحاجة ماسة إلى منطق فكري دقيق تساندها في تجاوز إيحاءات العقل الجماعي بغية التغلب على تلك التأثيرات بقدر المستطاع[3]. يمكن القول أن الإنسان دائما ما ينكر ماهية الأهواء والغرائز التي تؤثر في سير حركته للحياة، إذ أن الأدلة التاريخية كثيرا للأفراد الذين تبين حقيقة تأثير العوامل النفسية تلك في مجريات الأحداث حتى وان كانت الأفراد تلك في مراكز القيادة والزعامة، إلا انهم يتصرفون بدافع الغرائز في الكثير من الأحيان بمعزل عن الحركة وفق منطق العقل، والأمر تنطبق على بقية الأفراد وان كانت بمستويات متباينة وفي مجالات مختلفة من الحياة، والتي يمكن إيجاد تفسيرات لها من خلال التعاليم الدينية السماوية، إذ تؤكد على أن الإنسان ذو قدرة عقلية محددة نظراً لوجود الغرائز التي غالباً ما تؤثر على القدرات العقلية تلك وتبطل مفعولها.

يعطي الأستاذ على الوردي شرح أخر لمسألة إذ يؤكد على أن الإنسانية يزعم أن يسير وفق المنطق العقلي بدرجة كبيرة، وبطريقة فكرية سليمة لأبعد الحدود، إذ لو نظرت إلى احاديثها وأقولها لشعرت أن ذلك في غاية الدقة والكمال العقلي، بل هي في مستوى الحكماء والمفكرين أصلاً، همهم الأول والأخير توظيف المنطق العقلي في الحياة، بينما الشواهد والوقائع على الأرض تثبت عكس ذلك تماماً، إذ يمكن القول في نهاية هذه النقطة أن الإنسانية تحاول توظيف ماهية الخداع النفسي على ذاتها وكينونتها في الوجود لهذه الحياة[4].على ضوء ذلك يمكن القول أن فرض القوانين العمومية على سير الحركة التاريخية فيها الكثير من الإشكالية العلمية، نظراً لتحكم الغرائز والأهواء في كثير من الأحيان بالمزاج النفسي للبشرية، قد تختلف تلك التأثيرات كذلك من مجتمع إلى أخر ومن زمان إلى أخر، بمعنى أخر انه من الصعب تحديد العلاقة ما بين عالم الإنسان الذاتي وعالمها الموضوعي الواقعي[5]، إذ يمكن القول أن النشاط الإنساني لا يتوقف على ماهية العقل لوحدها رغم أهمية ذلك، بل أن المؤثرات الخارجية من البيئة المحيطة تفرض مؤثراتها في الكائن البشري التي لها ميزة التكيف والانسجام مع العالم الخارجي عن ذاتيتها الوجودي[6]،هذا فضلاً عن أهمية المشاعر والأحاسيس الموجودة التي تكون ذات

1. يونغ، البنية النفسية عند الإنسان، ت: نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، د.م.ت، ص٧١
2. ولتر ستيس، الدين- العقل الحديث، ت: أمام عبد الفتاح أمام، مكتبة مدبولى/ القاهرة- مصر، ط١ ١٩٩٨، ص١٢٨
3. جون ديوي، الطبيعة البشرية، ص١٤٤
4. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٩٣
5. كلود ليفي شتراوس، الانثروبولوجيا البنيوية، ت: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق- سوريا، ط١ ١٩٧٧، ص٢٣-٢٤
6. جوزايا روس، العالم والفرد، ت: احمد الأنصاري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠٠٨، ص٣٢٧

اثر كبير في منح البشرية القوة والقدرة اللازمة بغية تحقيق طريقة العيش للإنسان على وجه العموم([1]).بمعنى أخر أن المنطق العقلي لوحدها لا يمكن أن يعطي الدافع النهائي لسير الحركة الإنسانية وإنما هنالك عوامل خارجية تعطي ملامحها لماهية الغرائز و الدوافع الأخرى التي بدورها تؤثر في سير تلك الحركة إلى جانب القوى العقلية والتي قد تختلف ماهية الأثر لتلك الدوافع من إنسان إلى أخر. لاسيما أن الغرائز والأهواء الإنسانية تعكس في العديد من المجالات الصورة الحقيقة للإنسان والكائن الحي، سواء كانت مفيدة لها أو تعمل على تصدع وانهيار البنية التواجدية لها، إذ أن لتلك المفاهيم الأثر الكبير كما يعتقد البعض في إيجاد الأرضية الجيدة للتعايش الجماعي فيما بين البشرية وفق منطق التوازن الاجتماعي بعيداً عن المنطق العقلي الإنساني كما يشير إليها البعض([2])، والإشكالية تكمن كما يؤكد على ذلك علم النفس الحديث في ماهية الأهداف التي تسعى الإنسان الوصول إليها والتي تتميز بكونها ذو أبعاد متغيرة تختلف من حين لأخر وهي غير ثابت في ماهيتها بالأساس، مما يعطي أو يمنح الإنسان بنية من الاستعدادات المختلفة تتوافق مع ماهية المستقبل لها التي تمتاز بانها من الغيبيات الغير معلومة أن جاز القول([3]).

حسب ما هو معروف عن الطبيعة الإنسانية إنها معقدة نوع ما، لاسيما من حيث الدوافع والقوى المؤثرة فيها والمحركة لها بصورة دقيقة، إذ يمكن القول أن المنطق العقلي تؤثر في الإنسان في كثير من الأحيان إلى جانب المؤثرات الأخرى من الغرائز المختلفة وهذا من الأمور الطبيعة، إذ لو فكر الإنسان بمنطقها العقلي لما وجد الخسارة والضرر أصلاً، أو بالأحرى لما إنهارات الحضارات وحصل ما حصل من كوارث، إلا أن زعم الإنسان انه يسير وفق المنطق العقلي في مسيرتها شيء من الخيال ليس إلا. ثم يأتي الأستاذ على الوردي إلى نقطة أخرى تتمثل في ماهية التقليد عند الإنسان وأهميتها في سير الأحداث التاريخية من خلال أن الكينونة البشرية قد لا يرى أيه قيمة أو مكانة لشيء ما في هذا الوجود إلا انه قد يتكالب عليها ويندفع نحوها عندما يرى الأخرين يتجهون نحو ذلك الهدف على اعتبار إنها اكثر أحقية وجدارة من هؤلاء البشر، إذ يمكن القول أن الاندفاع والتكالب على الأشياء وماهية حب الذات والأنانية عند الكائن البشري صورة متكاملة احدهما للأخر، أو بمعنى أدق انه عندما يكون احدهما سبباً يكون الأخر نتيجة حتمية لها([4]).ويظهر ذلك جلياً من خلال الدراسات الحديثة التي تؤكد على أهمية تلك الدوافع النفسية للأفراد، لاسيما عندما يتفاعل بشكل كبير مع بقية الأفراد للمجتمع الواحد، مما يولد نوع من التغيرات الاجتماعية وفق منطق تلك التفاعلات القائمة بين أبناء المجتمع الواحد([5])، بحيث أن الأساس في عملية التغير الاجتماعي هم الأفراد وفق اعتبارات نفسية تساندهم في ذلك الأمر وتجعل منهم ذو قدرات قابلة للحركة والاندفاع نحو الابتكار والأبداع وفق ألية ديناميكية ضرورية لسير الحركة التاريخية([6])، هذه الألية تتشكل عند

1. اريك فروم، المجتمع السوي،ص١٧٣
2. محمد الهلالي وعزيز لزرق، الشخصية، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب، ط١ ٢٠١٠، ص٣٨
3. الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٣١-٣٢
4. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص٩٥-٩٦
5. سليمان عبد الواحد إبراهيم، علم النفس الاجتماعي، الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١ ٢٠١٤، ص٢٠٤
6. دلال ملحس استيتية، التغير الاجتماعية والثقافي، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، ط٤ ٢٠١٤، ص١٣٨-١٣٩

توافر قوة النفوذ وحب الذات للإنسان والأفراد من خلال الرغبة والتصميم التي تمنحها الكثير من المعطيات بهدف ضمان النجاح والوصول إلى الأهداف المنشودة للمجتمع([1]).

إذ يمكن القول أن تلك الدوافع النفسية من حب الذات والأنانية والطمع والكراهية وما إلى ذلك من غرائز ودوافع كانت العامل الرئيسي في تكوين الأحداث الإنسانية على مر العصور والأزمان، بحيث لو نظرنا إلى التاريخ الإنساني لوجدناها مليئة بالمشاهد القائمة على ذلك([2])،كل ذلك تحقق النجاح شريطة أن تكون الأفراد بمعزل عن تأثير القوى الاجتماعية من خلال مفهوم الإيحاء وظاهرة التقليد، إذ أن ذلك تعني أن ماهية الأفراد قد تأثرت بطابع وفكر تلك القوى التي تتميز بكونها غير منتظمة أصلاً وغير قابلة حتى يكون بمقدورها العطاء الفكري للأفراد بغية السير في الحياة([3]).وفق ما ذكرناه من تفسيرات قد تكون معقدة ومتضادة في أن واحد، أن مسألة المحاكاة موجودة كغريزة بشرية لا يمكن إنكارها تحت أيه ذرائع فكرية أو منطقية، ولها من الأهمية الكبيرة في التأثير على مستوى الأحداث التاريخية، إلا أن ذلك لا يعني أن تلك التأثيرات كانت إيجابية بالمقارنة مع الحركة البشرية القائمة وفق منطق العقل والفكر والتمعن والتحليل، إذ انه من المعلوم أن ماهية التقليد والإيحاء تعني الاندفاع نحو الهدف دون تخطيط معين، بالتالي تكون الثمار الناجمة عن ذلك القليل من العطاء والمنفعة للإنسانية ككل في هذا الوجود.

ثم يشير الأستاذ على الوردي إلى انه من الطبائع التي يتميز به الإنسان لهذا الوجود تكمن في رؤية الفرد البشري بأنها صاحبة الفضل والمكانة ولها من العظمة ما هو فوق الطاقة الاعتيادية من بين سائر الأفراد الأخرين الذين هم دون ادنى مراتب الحياة منه، وبالتالي يمنح نوع من الأحقية والمشروعية في هذا الحياة ولمختلف مجالات والجوانب المختلفة، مما يعني أن هذا الفرد أو ذاك تطلب من الحقوق والمصالح ما هو غير مستحق بالنظر إلى طاقاتها الحقيقة، وهذا ما يولد نوع من الصراع والاحتجاج من قبل الأخرين الذين يشعرون أن بأن حقوقهم سرقت منهم من قبل هؤلاء الأفراد الغير المستحقين لما هم عليها([4]).يعتقد البعض أن مسألة الدوافع هي خارج نطاق مفهوم ماهية النفس الإنساني من خلال التأثيرات الخارجية والتي تظهر بصورة واضحة من خلال محاولة الفرد التأثير في عمل ووظائف وسلوك الأخرين من الأفراد والتدخل في أعمالهم حتى يمهد الطريق لأحداث تغيرات مطلوبة لسلوكها الشخصية أصلاً([5])،وهذه من البديهات في الكينونة الإنسانية التي تمتاز بكونها في صراع دوري مستمر وفق محرك الفكر والواقع التي تفرض على الإنسان القوة اللازمة بهدف الاستمرار والديمومة التنافسية التي يمكن تعريفها في كثير من الأحيان بالصراع الجدلي الديالكتيكي للبشرية([6])، التي تتميز بكونها متوازن من خلال أن الأفراد ضمن المجتمع الواحد، إذ أن العلاقات القائمة فيما بينهم تكون وفق منطق مرن وذو أبعاد وأشكال مطاطية متغيرة أو بمعنى أخر إلا تكون وفق الحب الخالص ولا الكراهية المطلقة بغية ديمومة الحياة وسير مجريات الأحداث

1. سوزان كويليام، الدوافع المحركة للبشر، مكتبة جرير، الرياض- السعودية، ط١ ٢٠٠٤، ص٩
2. ديفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ت: موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠٠٨، ص١١٩
3. نيقولاى بردياٮف، العزلة والمجتمع، ت: فؤاد كامل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر، ط١ ١٩٦٠، ص٢٣٨-٢٣٩
4. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١٠٢.
5. جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص١٤١.
6. ازيا برلن، ضلع الإنسانية الاعوج، ص٣٣.

التاريخية[1].بمعنى أخر يمكن القول أن الحركة الإنسانية وان حاولوا إنكارها تتأثر ببعض القوى الكامنة في أعماق نفوسنا ومتجذرة فيها، رغم أن البعض يحاول إنكار ذلك من خلال ماهية الحرية في الإرادة والاختيار التي يتميز بها الإنسان كذلك، إلا إنها ومع وجود ذلك الحرية الاختارية فقد تخضع الكينونة الإنسانية من الناحية النفسية لتلك القوى من الغرائز والدوافع الموجودة عند الإنسان[2]، التي تتمز بكونها مؤثرة تحمل في طياتها الكثير من المفاهيم والمدلولات المفيدة سواء للعالم الخارجي الذي نعيش فيه أو حتى للكينونة الذاتية للإنسان والأدلة والشواهد التاريخية للبشرية خير مثال على ذلك[3].

يمكن القول أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان بشكل يليق بهذه الحياة بغية الاستمرار في الحياة الذي لا يمكن لها أن تستمر بدون تلك المميزات والتي تسمى اليوم بالدوافع والغرائز كما هي مع ماهية الصراع التي يرى فيها الكثيرون إنها من الشرور، ولكن أن نظرت إليها بإمعان ومنطق علمي دقيق لوجدتها إنها في صالح البشرية، فيما يتعلق الأمر بالدوافع فأنها هي الأخرى تخلق عملية الصراع تلك، لولا تلك الدوافع لما حصلت صراعات ما بين الخير والشر أصلاً، إذ باختصار يمكن القول أن هذه الحياة هي بمثابة امتحان للبشر ولا يمكن إجراء ذلك الامتحان بمعزل عن ماهية الخير والشر.

يستمر الأستاذ على الوردي في إعطاء المزيد من الشرح لهذه النقطة، إذ يؤكد على أن ماهية الصراع عند الإنسان تكمن في أحداث عمليات التطور، ومن أجل إثبات صحة ذلك يأتي إلى ذكر دليل في غاية الأهمية من خلال مملكة النحل الذي يحكمها كائن واحد تسمى الملكة التي لا تشعر بالخوف والقلق على عرشها المصان أصلاً بصورة طبيعة خارج أرادتها وقوتها، حيث يسود مجتمع النحل نوع العمل المنظم وكأنها ألة مسيرة بمعزل عن أرادتها وحريتها، من خلال انه يؤدى كل فرد من النحل وظيفتها دون التدخل في أعمال ووظائف الأخرين، وهذا ما منحها البقاء ضمن بوتقتها منذ ملايين السنين دون تطوراً أو تحول إلى الأمام، وإنما بقيت ساكنة ومستقرة من غير احتجاج أو تذمر اجتماعي[4].

إذ انه من الصفات التي تجعل من الذات البشرية متميزة ومختلفة عن الكائنات الأخرى تكمن في المعرفة التي بحوزتها التي تجعل منها قابلة لماهية الخلق والأبداع في هذه الحياة، حيث أن الإنسان هو الكائن والمخلوق الوحيد الذى لها تلك القدرة المعرفية[5]، والفكرية التي تمنحها القوة الكافية بغية الإنتاج والسير في عملية التطور بخبراتها وموهبتها التي بحوزتها والتي تساندها في أحداث ما يمكن تسميتها بالتطور والبناء الحضاري[6]، لاسيما أن الطبيعة البشرية مزدوجة المعيار، أو بمعنى أخر انه قد تحدث عملية تطورية إيجابية بقوة تلك الدوافع، أو أن العملية تكون معاكسة تماما وتحدث نوع من التراجع والتخلف التي بدورها تنتج الصراع والقلق والكرب وما إلى ذلك من أشياء يتميز بها الإنسان فقط دون الكائنات الأخرى في هذا الوجود من الحياة[7].

1. حوزيف فرانكلين، العلاقات الدولية، ص٨٩.
2. روبرت غرين، قوانين الطبيعة البشرية، ص٤.
3. دايفد باتريك هوتون، علم النفس السياسي، ص٢٠.
4. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١٠٢
5. اريك فروم، المجتمع السوي، ص١٤٣
6. سيد عبد الحميد مرسي، العلاقات الإنسانية، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، ط١ ١٩٨٦، ص١٣
7. لورانس.ا. برافين، علم الشخصية، ج١، ت: عبد الحليم محمود السيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠١٠، ص٢٥٦-٢٥٧

بمعنى أخر يمكن القول أن هذه الازدواجية تتكون بفعل تأثير القيم والمفاهيم الاجتماعية في الكينونة الإنسانية من جهة وبفعل قدرة الإنسان النابعة من حرياته في الاختيار والتقدير وكذلك تميزه بماهية الإرادة والوعي من جهة أخرى خلق لها هذه الازدواجية في الحياة بغية تحقيق التطور والتغير لهذا العالم الذي يتواجد فيها، إذ يمكن القول أن ذاتية الإنسان مجبرة على ترك بصماتها وأثارها في هذه الحياة من خلال الأهداف التي تريد الوصول إليها[1]،نظراً لكونها الكائن الفريد التي يمكن عن طريق قواها الداخلية معرفة العوائق والمشاكل التي تعترض طريقها والتي يحاول فيها الإنسان جعل تلك العوائق متلائمة مع ما يتفق ذاتيتها في مجال التطور والتقدم المطلوب[2].

اجمالاً يمكننا القول أن الطبيعة الإنسانية تختلف عن بقية الكائنات من حيث وجود بعض الصفات والمميزات التي تفتقد إليها بقية الكائنات الحيوية، وان هذه الميزات جعلت من البشرية مسؤولة عن حركاتها في هذا الوجود، إذ تؤخذ عليها الخطايا والتخلف والتراجع وما إلى ذلك من سلبيات، نظراً لوجود مفهوم الاختيار وحرية العمل بمعزل عن الكائنات الأخرى التي لا تتمتع بهذه الخاصية، إذ أن تلك الكائنات مسيرة بنوع من الألية الديناميكية بمعزل حرية الاختيار. يستمر الأستاذ على الوردي في طروحاته الفكرية فيشير إلى أن ذاتية الفرد فيها من الغرائز النفسية ما يجعلها تعمل وتجهد بغية اكتساب المكانة والعظمة والشهرة الشخصية من جهة والحصول على الثروات والمنطق المادي من جهة أخرى، وفي مجمل تلك المحاولات والجهد والخدمات الفردية تنتج مجتمعات إنسانية متطورة بصورة طبيعية والتي تقع على عاتقها تقديم الحقوق والجزاء المادي لتلك الأفراد التي تدعي أن أعمالها تلك إنما كانت في سبيل خدمة المجتمع، وان كانت في حقيقة الأمر لتحقيق مصالحها الفردية، وان صبت في نهاية المطاف في مصلحة الأمة ككل[3].

من البديهيات أن تطلب الكينونة الإنسانية حقها خلال مسيرتها في الحياة، إذ انه من المعروف أن القوانين التي وضعت للبشرية كانت مستمدة من ماهية العقاب والثواب التي تمنح البشرية الطاقة اللازمة وتشجعها في أعمالها وحركاتها بصورة منتظمة إلى حد كبير، لاسيما أن تلك الحوافز تجعل من ذاتية الإنسان في حال من الاستمرارية الإيجابية وفي الوقت نفسه درء المخاطر والسلبيات[4]، لأنه كما هو معلوم أن الطبيعة الإنسانية تفرض عليها ضرورة الانفتاح على هذه العالم من خلال العوامل النفسية الموجودة من حب التطلع والاكتشافات والبحث عن الحقائق والمعرفة التي تتجلى على الصعيد الإنساني من خلال المشاعر والأحاسيس الفردية للإنسان[5]. إذ أن تلك الأحاسيس إنما تحقق نوع من السعادة والراحة النفسية لهؤلاء الأفراد أو حتى الجماعات الذين يحاولون أثبات ذلك من خلال قيامهم بالأعمال التي تؤدي في نهاية المطاف إلى توفير مقومات الدفاع عن سعادتهم في الحياة التي يتطلب المزيد والكثير من الجهد والعمل من قبل الإنسان بغية تحقيق مكاسب اكثر تؤمن عيشهم في هذه الحياة[6]، لاسيما كما يشير إليها البعض بتواجد الغرائز المتنوعة التي قد تكون بعضها إيجابية و البعض الأخرى سلبية تمنح الإنسان القوة

1. ايريش فروم، جوهر الإنسان،ص٣٤
2. كريستين نصار، الإنسان و التاريخ،جروس بروس، طرابلس- لبنان، ط١ ١٩٩١، ص١٠٣
3. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١٠٢
4. ديفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ص١٣٦
5. ادغار موران، النهج (الإنسانية البشرية)، ت: هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، أبوظبي- الإمارات، ط١ ٢٠٠٩،ص٥٢
6. عبد الحميد صديقي، تفسير التاريخ، ص١٨

الكافية بهدف ضمان وصيانة الحياة والاستمرار في هذا الوجود وتحمل التقلبات والتحديات التي تظهر في طريقها من اجل البقاء([1]).تعتبر هذه النقطة من النقاط الأساسية لاسيما عند الشعوب والأمم المتخلفة التي ترى أن كل عمل إنساني فردي يجب أن تكون بدون جزاء مادي، إلا أن ذلك غير منطقي وغير صحيح في ماهية عملية تطورات المجتمعات، والدليل عند المجتمعات الاشتراكية التي غالباً ما كانت تنادي بحقوق العامة وتتجاهل حق الأفراد المبدعين والمبتكرين والتي وصلت في نهاية المطاف إلى إفلاس طاقات الفرد جملة وتفصيلاً، عكس العالم الرأسمالي التي منحت الأفراد كامل حقوقهم المادية من خلال القوانين التي حفظت تلك الحقوق لهم، مما ساهمت بشكل كبير في ثراء تلك العالم، بحيث صبت تلك الثراء في صالح العامة من الناس، كما نراها في العالم الرأسمالي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المظالم الموجودة هنالك نابعة عن فقدانهم للقيم الاخلاقية التي تسببت في كوارث كبيرة لا نريد الخوض فيها بأعتبارها موضوع أخر.

ثم يذكر الأستاذ على الوردي أن بنية وتركيبة الإنسان النفسية تجعلها في حالة من حب الذات والأنانية قد تصل به أو تدفعها نحو منطق فكري ذاتي وكأنه الفرد التي تتوقف عليه مسيرة المجتمع البشري، بحيث انه القائد أو الزعيم الذي بحوزته الكثير من المبادئ والقيم الهادفة للأصلاح من خلال الآراء والطروحات الفكرية المبنية على أصلاح حال الأمة والمجتمع والسير بها نحو بر الأمان والتكوين والتطور الحضاري على أساس أن تلك المفاهيم الفكرية التي جاءت بها إنما وحدها هي الكفيل والراجح في أحداث التغيرات المطلوبة لحال المجتمع بمعزل عن أراء الأخرين الذين يفتقدون إلى ماهية الأصلاح مقارنة الآراء الذي جاء به هو بحد ذاته، إذ يمكن القول أن سير تطور المجتمع إنما يتوقف عليه لوحدها بمفرده دون أيه اثر للأفراد الأخرين([2]).هذه كما يشير بعض المؤلفين إلى انه نوع من الحالة الذي يقع فيها ماهية الإنسانية النفسية الذي يجعل من كينونتها في حال من الإيجابية والمنطق العلمي من خلال الحركة و التصرفات الصادرة عنه والتي تسير كما يتصور هو عن نفسه وفق ميزان الخير، بينما الأفراد الأخرون يسيرون وفق ماهية الشر، كأن الشر والخير مفهوم ثابت عند الإنسان وغير قابلة للتغير أصلاً، والغرض من ذلك إيجاد نوع من الرضى النفسي وتبرير الأعمال التي يقوم بها في الحياة وتكوين نوع من الصورة والمشهد المبهج المتنور بمعزل عن بقية الأفراد الأخرين([3])، إذ أن من المميزات التي يحاول الإنسان أو الفرد التباهي بها عن الأخرين هي انه يملك خير الأفكار الفلسفية، لاسيما أن ماهية الفكر تمنح الفرد القوة والقدرة اللازمة وتجعل من كينونتها النفسية في احسن الحالات([4]). وهذا ما يجعل الفرد يحاول أن يثبت وجودها من خلال ذلك، على أساس أن أكثر الأفكار الداعية والمطالبة بالتغيرات المفيدة إنما تكمن عنده، وهذا ما يؤهله لقيادة المسيرة الأصلاحية للمجتمع الذي ينتمي إليها. هذا فضلاً عن أن الكثير من الدراسات التاريخية تشير إلى دور عاملين مؤثرين أساسين في سير الأحداث الإنسانية، أحدهما يتمثل في البيئة والمفهوم الاجتماعي لذلك، بينما المؤثر الأخر تكمن في عامل

[1]. ول ديورانت، دروس التاريخ، ص٧١-٧٢

[2]. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١٠٩

[3]. كاثلين تايلور، القسوة وشرور الإنسان والعقل البشري، ت: فردوس عبدالحميد البهنساوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠١٤، ص٣٨

[4]. حسين سلامة، ميشال فوكو(الفرد والمجتمع)، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس- تونس، ط١ ٢٠٠٩، ص٤٧

الأفراد المتميزين بنوع من المميزات يمكن تسميتهم بالأبطال عند المجتمعات البشرية ([1])، وهي الفكرة والتفسير الأكثر انتشاراً للأحداث التاريخية، والتي ارتبط فيها الحركة الإنسانية بقوة وعظمة القادة والزعماء منذ العصر اليوناني القديم وصولاً إلى العصر الحديث ([2]). وهذا ما جعل الأفراد من الناحية النفسية تظهر فيهم تلك الميول التي يحاولون فيها أثبات الذات الفردي أمام الأخرين وان كانت في غير محلها، بحيث انه من المسلمات في حركة التاريخ وجود دور مؤثر للكينونة البشرية وعلى مختلف المستويات والجوانب الحياة من السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية وغيرها من الأمور التي يمكن للإنسان أن تبرز دورها وتأثيراتها بكل وضوح من خلال المشاهد و الوقائع التاريخية، رغم أن بعض المدارس التفسيرية للتاريخ تحاول بمزاعم غير منطقية وعلمية وعلى أُسس من المفهوم العاطفي نفي دور الفرد. ومن ثم يحاول الأستاذ على الوردي تبيان اكثر لهذه الفكرة، إذ يؤكد أن دور الأفراد تختلف ما بين المجتمعات المتطورة والمجتمعات المتخلفة، حيث أن المجتمع الأول يتميز فيها الأفراد بنوع من الصراعات الجيدة والمفيدة، تؤدي إلى العمل من اجل الإنتاج اكثر وتقديم خدمات اكبر بغية خلق رفاهية وسعادة مطلوبة لأبناء المجتمع، بينما الحال مختلف عند المجتمعات المتخلفة، إذ يتميز الصراع ما بين الأفراد في الأمور الخارجية للحياة بعيداً عن جوهر وماهية التطور، ومثال على ذلك تكمن الصراع على الجاه والوجود الشخصي لهم بمعزل عن الإنتاج والأبداع المنطقي للحياة، إذ أن كل ذلك مفادها أن سيطرة العقل الجماعي على الأفراد هي السائدة لا اكثر([3]).وهذه حقيقة يمكن ملاحظة ذلك عند النظر إلى ماهية المجتمعات البشرية في هذا الوجود، إذ يمكن القول أن النشاط الإنساني مرتبط بالعوامل الخارجية، لا سيما البيئة والمحيط الخارجي الذي يعيش فيها الأفراد من خلال مفهوم الأخذ والعطاء فيما بينهم، وهي مفهوم بالغ الأهمية عند تفسير حركة الأفراد، سواء كان التأثير إيجابية أو تميزت بالسلبية للحياة والوجود البشري([4])، إذ انه من المعلوم أن علاقة الأفراد بالمجتمعات إنما يكون وفق منطق التأثير والتأثر، وهي من اكثر المميزات التي يمتاز بها الإنسان في الوجود من الناحية، فإذا ما حصل فيها نوع من الفشل لتلك العلاقة قد تخلق نوع من العيش التي تتسم باليائسة والصعبة تعاني فيها المجتمعات اشد المعاناة من خلال سوء التكيف والإدارة، إذ بدل أن يخلق الأفراد الأبداع والإنتاج يخلقون البؤس والمعانة لغيرهم وهذا ما يمكن تسميتها بالحالة الاجتماعية الفاشلة للحياة التي تظهر في المجتمعات الإنسانية([5]).اذ انه من المميزات المؤثرة للمجتمعات المتطورة ظهور أفكار وأراء جديدة لم تكن لها وجود في الماضي لا سيما في مجال الحياة البشرية الذي يتصفون فيها([6])،بحيث أن النظرة إلى العالم في هذا الوجود تكمن في معرفة ماهية الأفكار التي قامت عليها الأفراد الذين يشكلون في نهاية المطاف العقل الجماعي للامة والشعوب الذي ينتمون إليها، لأنه من خلال معرفة ماهية المنطق الفكري الذي يسيرون عليها من خلال مفهوم ماهية الوجود أصلاً، وكذلك ماهي الإمكانات التي يمكن للإنسان أن يستخلصها من

1. صائب عبد الحق، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت- لبنا، ط١ ٢٠٠٧، ص٦٠١
2. احمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، دار الوفاء والنشر، الإسكندرية- مصر، ط١ ٢٠٠٤، ص٧١
3. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١١١
4. الفرد ادلر، الطبيعة البشرية، ص٣٠
5. عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشة الاجتماعية، ص١٨٣-١٨٥
6. ميشيل مافيزولى، تأمل العالم، ت: فريد الزاهي، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط١ ٢٠٠٥، ص٢٤

هذا الوجود والواجبات التي تقع على عاتقها بغية القيام بذلك الأمر، والتي يمكن الوقوف على تلك المعاني من خلال معرفة شيء واحد والتي تظهر من مفهوم الروح التي تفسر كل شيء، سواء الروح الفردي أو الجماعي([1]). وهذا هو عين التفسير الصحيح لهذه النقطة من الطرح الفكري للأستاذ على الوردي، إذ يمكن القول أن روح الفرد أو حتى الروح الجماعي لا يمكنها السير في المجال الأبداع والتطور دون الوقوف على ماهية الروح وماهية تغذيتها من خلال نوع الآراء والأفكار التي يحملها والتي قد تمنحها القوة والقدرة الكافية لسير نحو الهدف المطلوب بشكل مفيد تكون في نهاية الأمر في صالح العام، أو قد تكون محملة بأفكار غير صالحة تجعل من المجتمع الإنساني في تخلف مستمر كما هي الواقع الذي نعيشه في هذا الزمان، بمعنى أخر أن الحالة النفسية للإنسان تتأثر بالقيم والأفكار التي تحمله جملة وتفصيلاً. يستمر الأستاذ على الوردي في طروحاته، إذ يشير إلى أن المجتمعات المتطورة تظهر فيهم التكالب والصراع كماهي عندنا نحن الأمم والشعوب المتخلفة، إلا أن الفرق يكمن في أن التخاصم والاختلاف إنما هي بهدف ضمان التنمية والتطور أصلاً من خلال الأبداع والإنتاج في شتى المجالات منها الفكري والمادي وهذه هي الأساس التي تحاول فيها الفرد أثبات قدراتها والبرهان على حقها في القيادة والزعامة على الكيان الاجتماعي، بينما تكون الأمور عندنا أن الفرد تحاول فرض نفسها من خلال بعض التسميات والرموز بمعزل عن ماهية الأبداع أصلاً منها على سبيل المثال مفهوم المشيخة والقيادة المزيفة، والدليل على ذلك التزيف يظهر من خلال كون تلك الأفراد وهابين وفي الوقت نفسها هم نهابين ولصوص بمعزل أن تكون قوة وهبهم هذه إنما جاءت من قوة ابداعهم وإنتاجهم أصلاً([2]). لأنه من طبيعة المجتمعات الإنسانية هي التمحور على الذات بغية توليد طاقة تكون مناسبة لأحداث ماهية التطور، إذ أن ذلك يؤدى في نهاية الأمر إلى تكوين مفاهيم تتسم بنوع من المثالية التي تكون قادرة على منح البشرية هذا التجيش الذهني الكبير بغية تحقيق التطور المنشود([3])، التي تاتي من تميز تلك الذهنية بنوع من الصحة والسلامة الفكرية، بأعتبارها منبع القدرات الإنسانية القائمة على أساس الحب والأبداع والخروج من عباءة المفاهيم الضيق والذهاب نحو مفاهيم موضوعية تعكس ارض الواقع بمعزل عن الروابط القبلية والقومية المجردة([4]).

تكمن الإشكالية في الذاتية الداخلية للإنسان التي تحوي طياتها الكثير من الطاقة لأحداث تلك التطورات أو بمعنى أخر انه من الضروري أن تفرغ الإنسان طاقاته تلك إلى الخارج وعلى ارض الواقع، فأن اتسم الوضع الذي يعشه تلك الأفراد بوجود العوائق لتلك الطاقات فأنه من الضروري أن تجد تلك الطاقة مسالك وطرق أخرى بغية الخروج قد تكون في صورة هدفها الدفاع عن الذات والمحاولة لفعل شيء ما للحالة التي يتواجد فيها، باختصار يمكن القول أن تلك الطاقة قد تذهب سدى ولا تنفع في شيء من حياة الإنسان، أو لا يكون لها نتائج إيجابية ومفيدة للمجتمع الإنساني([5])، ذلك وفق المنطق العلمي لماهية الإنسان التي تتميز بنوع من التعقيد والتشابك الذاتي، لاسيما مع العناصر المزدوجة التي تتكون شخصيتها في العالم، إذ أن تلك العناصر هي في الواقع دوافع تدفع الإنسان نحو

1. البرت اشفيتسر، فلسفة اتلحضارة، ت: عبد الرحمن بدوي، دار الاندلس، بيروت- لبنان، ط٣ ١٩٨٣،ص٦٧
2. على الوردي، مهزلة العقل البشري، ص١١١
3. ا. ايفنز- برتشارد، الاناسة المجتمعية، ت: حسن قبيسي، دار الحداثة، بيروت- لبنان، ط١ ١٩٨٦،ص٢٢٧
4. اريش فروم، المجتمع السوي، ص١٧٧
5. لورانس. ا. برافين، علم الشخصية، ج١،ص٢٥٩-٢٦٠

مجريات التطور والتحول البشري[1].هذه هي الصفات والمميزات التي تعطي التعريف الحقيقي للإنسان، لأنه كما هي معروف مؤكد عليها أن ماهية الإنسان إنما يكون وفق الذاتية والنفسية الداخلية للإنسان، أي أن ذلك من اهم واكثر العوامل المؤثرة في تيسير الأحداث لما تقتضيها الطبيعة البشرية[2]، رغم انه هنالك في الكثير من الأوقات قد تصاب تلك الطبيعة بنوع من الأفكار وتندفع تحت تأثير بعض الدوافع يغير من الاتجاه الصحيح التي من الواجب على البشرية أن تسلكها في سيرها خلال هذا الوجود من الحياة، أو بمعنى أخر أن تأثر الحالة والذات النفسية قد تحدد الطريقة والمسالك التي تقع عليها اتباعها في المسيرة الحياتية[3]. التي هي في الواقع من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه إلى يوم الدين، من خلال الدوافع المغروسة في الإنسان، إذ يمكن القول انه لا تحقيق للنصر دون صعوبات ودون اللام[4].بغية اعطاء المزيد من الشرح لهذه النقطة وفق معرفتنا المتواضعة، يمكن القول أن المفارقة في الأفراد عند المجتمعات المتطورة انهم يتميزون بقدرات ابداعية قوية تجعلهم قادرين في التأثير على عقلية المجتمع واقناعها للسير وفق هذا المسلك أو تلك بغية تحقيق النصر المنشود والتطور والتحول المطلوب التي يؤمن الرفاهية الحقيقة للمجتمعات تلك على ارض الواقع، عكس الأفراد الذين يدعون الموهبة والطاقة الأبداعية عند المجتمعات المتخلفة، إذ انهم واقعين تحت تأثير العقلية الجماعية، أو بالاحرى انهم غير قادرين على فرض اراائهم أن كانت لهم رؤيا حضارية أصلاً على المجتمع واقناعيها لتيسر في تلك الطريقة أو ذاك، لان المجتمع غير مقتنع بهم كزعماء وابطال وان تنادوا هم في ذلك كما يقول الأستاذ على الوردي انهم وراء المشيخة وفق المنطق العقل الجماعى لا اكثر. لاسيما أن ماهية الفرد كانت دوماً الشغل الشاغل للكثير من الدراسات المختصة بعلم التاريخ خلال العصر الحديث، من خلال أن العلوم الأخرى كانت تحاول اثبات صدق مادته العلمية من خلال القوانين، حاولت المعرفة التاريخية من خلال الفرد كغاية أساسية لها اثبات الكثير من الأحداث التاريخية وتفسيرها على وجه الدقة والمنطق العلمي[5]، إذ أن ذلك يساعد الدراسات التاريخية في فهم الكثير من الحقائق والشواهد من خلال دراسة الحالة النفسية للأفراد والجماعات البشرية التي تتميز في الكثير من الاحيان بوجود حالات النقص والكبت والانطواء على الذات عند الأفراد والقوى الاجتماعية لهذه الوجود، هذا بالاضافة إلى سائر الأمراض النفسية الأخرى التي تساعد الباحثين في التاريخ لمعرفة الحقائق قدر المستطاع[6]. لان الفرد هو في امر الواقع جزء من المنظومة الاجتماعية التي تكونت وتشكلت من خلال التنازل عن جزء من حقوقها وحرياتها ليتواكب مع الحقوق و الحريات العامة التي يمكن تسميتها بالحقوق الاجتماعية والحرية المدنية التي يحملها الفرد خلال المسيرة كنوع من القيود التي

1. كريستين نصار، الإنسان و التاريخ، ص١٠٣-١٠٤
2. برنارغروتويزن، فلسفة الثورة الفرنسية، ت: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط١ ١٩٨٢، ص١٣٢
3. مجموعة من المؤلفين، فلسفة التاريخ، ص٥٨٠
4. جاسم سلطان، فلسفة التاريخ، مؤسسة ام القرى للترجمة والنشر، الرياض- السعودية، ط٤ ٢٠١٠، ص١٥٥
5. ريمون ارون، فلسفة التاريخ النقدي، ت: حافظ الجمالي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، ط١ ١٩٩، ص١٢٤
6. سيد احمد على الناصري، فن كتابة التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة- مصر، ط١ ١٩٨٢، ص٢٣٢

تتعامل معها[1]. وهذه هي الواقع إذ أن الفرد هم جزء من المجتمع يؤثرون في المجتمع ويتأثرون بها في الكثير من الحالات، لاسيما من حيث التركيبة النفسية التي تتشكل عند الأفراد والقوة الاجتماعية ككل وهي من الأمور المسلم بها عند العلوم الإنسانية خلال العصر الحديث والمعاصر.

الخاتمة:

وفي الختام هذا البحث التي كانت حول طروحات المفكر العراقي الوردي، يمكن القول انه تمكنا من الوصول إلى بعض الاستنتاجات العامة والتي يمكن أن نلخصها على شكل نقاط متعددة أهمها:

1- يمكن القول أن العامل النفسي للإنسان و المتمثلة بالدوافع والغرائز المتباينة والموجودة ضمن التركيبة الداخلية لها من الأثر الواضع في سير الأحداث وتشكيلها من خلال وجود العديد من الشواهد والأحداث التي تؤكد على صدق ذلك الأمر.

2- يعتقد الكثير من الناس المنطق العقلي للإنسان هي التي تحدد طبيعة سير الأحداث، لاسيما عند المجتمعات المتطورة، وقد يكون ذلك صحيح بمقدار ما، أن الأصح تكمن في أن للعوامل النفسية قدر كبير من الأهمية حتى وان كانت المجتمعات في أطوار حضارية متقدمة، من خلال التأثر بماهية الحب والكراهية والطمع والجشع والأنانية وغيرها من الأمور التي كانت هي منتشرة عند الأمم التي تدعي التطور الحضاري.

3- أهمية مفهوم الصراع في حياة الشعوب والمجتمعات التي تندفع تحت تأثير هذه المفهوم نحو الأمام إذ لا وجود للحياة دون ماهية مفهوم الصراع بين البشر التي قد تنتج عنها الحروب والدمار والخراب وغيرها من المفاهيم السلبية عن الحياة وهي في الواقع أمور إيجابية، إذ لم هنالك نهوض لأية أمة حضارية بمعزل عن ماهية الصراع والحروب بين البشر كما تؤكد على ذلك الشواهد والأدلة التاريخية في الحياة.

4- يختلف الكائن البشري عن بقية الكائنات الأخرى من الناحية والشعور النفسي والإرادة وحرية الاختيار، إذ أن الكائنات الأخرى من الحيوانات والنباتات لا تتميز بمفهوم التخير في الحياة، بل إنها كائنات مسخرة لها مسلك واحد من الحياة والتي يمكن تشبيها بنوع من الالة الميكانيكة تسير وفق منهج محدد، عكس الإنسان التي لها حرية الاختيار والتفكير خلال المسيرة، بمعنى انه حر في اختيار أيه مسلك أو طريق للوصول إلى مبتغاها الوجودي.

5- لا يمكن لنا نحن البشر تحقيق المصلحة والرفاهية المطلقة من الناحية النفسية والجسدية في أن واحد، إذ أن الإنسان أما أن يخلد للراحة والاطمئنان النفسي، وبالتالي يكون الجانب المادي منها واقعة في الصعوبات والمتمثلة بالكيان الجسدي، أو يخلق المنطق الحضاري التي تصاحب معها القلق والتعب النفسي بينما يجد المفهوم الجسدي المادي الراحة والاطمئنان أن جاز القول.

[1]. جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ت: عادل زعيتر، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١ ٢٠١٢، ص٣٧

قائمة المصادر والمراجع

1. ا. ايفنز- برتشارد،١٩٨٦، الأناسة المجتمعية، ت: حسن قبيسي، ط١، دار الحداثة، بيروت- لبنان
2. ابن خلدون،٢٠٠٥، مقدمة ابن خلدون، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان
3. ابي الحسن الندوي،١٤٠٣ه، أهمية الحضارة في تاريخ الديانات، ط١، مكتبة العلامة الحسيني، د.م،ت
4. احمد محمود صبحي،٢٠٠٤، في فلسفة التاريخ، ط١، دار الوفاء والنشر، الإسكندرية- مصر
5. ادغار موران،٢٠٠٩، النهج (الإنسانية البشرية)، ت: هناء صبحي، ط١، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي- الإمارات
6. ادغار موران،٢٠٠٩، إلى اين يسير العالم، ت: احمد العلمي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان
7. ارنست كاسيرز،١٩٦١، فلسفة الحضارة الإنسانية، ت: إحسان عباس، ط١، دار الاندلس، بيروت- لبنان
8. ارنولد توينبي،٢٠٠٦، الحضارة في الميزان، ت: أميم محمود، ط٢، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا
9. ارنولد جوزيف توينبي،٢٠١٤، بحث في التاريخ، ج١، ت: طه باقر، ط١، دار الوراق للنشر، بيروت- لبنان
10. اريك فروم،٢٠٠٧، الإنسان من اجل ذاته، ت: محمود منقذ الهاشمي، ط١، د.م.ت
11. اريك فروم،٢٠٠٩، المجتمع السوي، ت/ محمود منقذ الهاشمي، ط١، د.م
12. اريك هوبزباوم،٢٠١٥، ازمنة متصدعة، ت: سهام عبد السلام، ط١، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت- لبنان
13. ازيا برلن،٢٠١٣، ضلع الإنسانية الاعوج، ت: محمد زاهي، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر
14. انطونى جيدتر،د.ت، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ت: اديب يوسف، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق- سوريا
15. ايريش فروم،٢٠١١، جوهر الإنسان، ت: سلام خيري، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا
16. البرت اشفيتسر،١٩٨٣، فلسفة الحضارة، ت: عبد الرحمن بدوي، ط٣، دار الاندلس، بيروت- لبنان
17. برنارغروتويزن،١٩٨٢، فلسفة الثورة الفرنسية، ت: عيسى عصفور، ط١، منشورات عويدات، بيروت- لبنان
18. ج. برونوفسكي،١٩٨١، ارتقاء الإنسان، ت: موفق شخاشيرو، العدد (٣٩)، المجلس الوطني للثقافة والادب، الكويت
19. جاسم سلطان،٢٠١٠، فلسفة التاريخ، ط٤، مؤسسة ام القرى للترجمة والنشر، الرياض- السعودية،
20. جان جاك روسو،٢٠١٢، العقد الاجتماعي، ت: عادل زعيتر، ط١، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان

21. جان فاتيمو،٢٠١٤، نهاية الحداثة، ت: نجم ابو فاضل، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان
22. جوزايا روس،٢٠٠٨، العالم والفرد، ت: احمد الأنصاري، ط١، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر
23. جوزيف فرانكلين،١٩٨٤، العلاقات الدولية، ت: غازي عبد الرحمن، ط٢، مطبوعات تهامة، جدة –السعودية
24. جون ديوي،١٩٦٣، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ت: محمد لبيب، ط١، مؤسسة الخانجي، القاهرة- مصر
25. حسن الملطاوى،١٩٩٦، فلسفة التقدم عند العقاد، ط١، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر
26. حسين سلامة،٢٠٠٩، ميشال فوكو (الفرد والمجتمع)، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، تونس- تونس
27. حسين مؤنيس،١٩٧٨، الحضارة، العدد (١)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت
28. دايفد باتريك هوتون،٢٠١٥، علم النفس السياسي، ت: ياسمين حداد، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دوحة – قطر
29. دلال ملحس استيتية،٢٠١٤، التغير الاجتماعية والثقافي، ط٤، دار وائل للنشر، عمان- الاردن
30. ديفيد هيوم،٢٠٠٨، مبحث في الفاهمة البشرية، ت: موسى وهبة، ط١، دار الفارابي، بيروت- لبنان
31. رالف لنتون،١٩٦٤، الأصول الحضارية للشخصية، ت: عبد الرحمن اللبان، ط١، دار اليقظة العربية، بيروت- لبنان
32. روبرت غرين،د.ت، قوانين الطبيعة البشرية، ت: إبراهيم محمد المالكي، دار المالكي للدراسات والنشر، د.م
33. ريمون ارون١٩٩٩، فلسفة التاريخ النقدي، ت: حافظ الجمالي، ط١، منشورات وزارة الثقافة، دمشق- سوريا
34. سليمان عبد الواحد إبراهيم،٢٠١٤، علم النفس الاجتماعي، ط١، الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الاردن
35. سوزان كويليام،٢٠٠٤، الدوافع المحركة للبشر، ط١، الرياض- السعودية، مكتبة جرير
36. سيد احمد على الناصري،١٩٨٢، فن كتابة التاريخ، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة- مصر
37. سيد عبد الحميد مرسي،١٩٨٦، العلاقات الإنسانية، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر
38. سيغموند فرويد،٢٠٠٦، علم النفس الجماهير، ت: جورج طرابيشي، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان
39. صائب عبد الحق،٢٠٠٧، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت- لبنان
40. صائب عبد الحميد،٢٠٠٧، فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر،بيروت- لبنان

41. طارق احمد حسن،٢٠١٣، العلاقة بين الحضارة والأخلاق، ط١، دار المكتبة المصرية، الإسكندرية- مصر
42. عبد الحميد صديقي،١٩٨٠، تفسير التاريخ، ت: كاظم الجوادي، ط١، دار القلم، الكويت
43. عبد الرحمن العيسوي،٢٠٠٢، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية – مصر
44. عبد الوهاب المسيري،٢٠٠٢، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط١، دار الفكر، دمشق- سوريا
45. عطيات ابو السعود،١٩٩٧، فلسفة التاريخ عند فيكو، ط١، منشاة المعارف، الإسكندرية- مصر
46. على الوردي،١٩٩٤، مهزلة العقل البشري، ط٢، دار كوفان للنشر، لندن- المملكة المتحدة، ط٢
47. على الوردي،٢٠٠١، شخصية الفرد العراقي،ط٢، منشورات دار ليلى، لندن- المملكة المتحدة
48. على الوردي،٢٠١١، في النفس والمجتمع، ط١، مكتبة بساتين المعرفة، بيروت– لبنان
49. على حسين الجابرى،٢٠٠٥، فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر العربي، ط١، دار الكتاب الثقافي، اربد- الأردن
50. غوستاف لوبون،٢٠١٤، السنن النفسية لتطور الامم، ت: عادل زعيتر،ط١، مؤسسة الهنداوي، القاهرة- مصر،
51. غوستاف لوبون،٢٠٢٠، فلسفة التاريخ، ت: عادل زعيتر،ط١، مؤسسة الهنداوي، لندن- المملكة المتحدة
52. الفرد ادلر،٢٠٠٥، الطبيعة البشرية، ت: عادل نجيب،ط١، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة- مصر
53. فؤاد زكريا،١٩٧٨، التفكير العلمي، العدد(٣)، الجلس الوطني للثقافة والاداب، الكويت
54. قيس ماضر فرو،٢٠١٣، المعرفة التاريخية في الغرب،ط١، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسيات، بيروت- لبنان
55. كاثلين تايلور،٢٠١٤، القسوة وشرور الإنسان والعقل البشري، ت: فردوس عبدالحميد البهنساوي،ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر
56. كامل محمد محمد،١٩٩٦، سيكولوجية العقل البشري،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان
57. كريستين نصار، الإنسان و التاريخ،١٩٩١،الإنسان والتاريخ، ط١، طرابلس- لبنان، جروس بروس.
58. كرين بريتون،٢٠١١، دراسة تحليلية للثورات، ت: عبدالعزيز فهمي،ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- مصر
59. كلود ليفي شتراوس،١٩٧٧، الانثروبولوجيا البنوية، ت: مصطفى صالح،ط١، منشوراة وزارة الثقافة و الارشاد، دمشق- سوريا

60. كينث.ن.والتز،٢٠١٣، الإنسان والدولة والحرب، ت: عمر سليم،ط١، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، ابوظبي- الامارات
61. لورانس.ا. برافين،٢٠١٠، علم الشخصية،ج١، ت: عبدالحليم محمود السيد،ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر
62. ليوتولستوي،١٩٩٥، الحرب والسلم،ج٢،ط١، مكتبة مدبولى، القاهرة- مصر
63. مالك بن نبي،١٩٨٦، شرط النهضة، ت: عبدالصبور شاهين،ط١، دار الفكر، دمشق- سوريا
64. مجموعة من المؤلفين،٢٠٠٦، ما التاريخ الان، ت: قاسم عبدة قاسم،ط١، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة- مصر
65. مجموعة من المؤلفين،٢٠١١، فلسفة التاريخ،ط١، ابن النديم للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر
66. محمد الهلالي و عزيز لزرق،٢٠١٠، الشخصية،ط١، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب
67. محمد طه،٢٠٠٦، الذكاء الإنساني، العدد(٣٣٠)، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والاداب، الكويت،
68. مسلم الجابرى،٢٠٠٥، العقل والتاريخ،ط١، دار مكتبة الهلال، بيروت- لبنان
69. ميشيل مافيزولى،٢٠٠٥، تأمل العالم، ت: فريد الزاهي،ط١، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر
70. نعوم تشومسكي،٢٠٠٧، النظام العالمي القديم والجديد، ت: عاطف معتمد عبدالحميد،ط١، نهظة مصر للطباعة والنشر، القاهرة- مصر
71. نورمن هامبسن،٢٠١١، التاريخ الاجتماعي للثورة الفرنسية، ت: فؤاد اندراوس،ط١، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة- مصر
72. نيقولاى برديائف،١٩٦٠، العزلة و المجتمع، ت: فؤاد كامل،ط١، مكتبة النهظة المصرية، القاهرة- مصر
73. هاشم يحيى الملاح،٢٠٠٧، المفصل في فلسفة التاريخ،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان
74. هشام الشرابي،١٩٨٤، مقدمات لدراسة المجتمع العربي،ط٣، دار المتحدة للنشر، بيروت- لبنان
75. ول ديورانت،١٩٩٣، دروس في التاريخ، ت: علي شلش،ط١، دار المعارف الصباح، الكويت
76. ولتر ستيس،١٩٩٨، الدين- العقل الحديث، ت: امام عبد الفتاح امام،ط١، مكتبة مدبولى/ القاهرة- مصر
77. يونغ،د.ت، البنية النفسية عند الإنسان، ت: نهاد خياطة،د.ت، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية- سوريا، د.م

The Psychological Factor And Its Impact On The Process Of The Historical Movement According To The Iraqi Thinker Ali Al-Wardi

Assist.professor.Dr. Kawa Azeez braim
Saladin University\College of Arts
Kawa.braim@su.edu.krd\07504549886

Abstract:

The various schools of history gave great value and scientific power to the nature of the philosophy of history during the modern era, by giving it various interpretations of how the historical process proceeds. One of those schools was summarized in the psychological concept related to human subjectivity, which is considered the main factor and driver of life, in addition to the temporal and spatial factor from which the course of life is formed. The historical wheel as a whole, therefore it can be said that by employing the foundations and foundations of this school, many of the complexities and puzzles associated with the concept and subject of history have been obtained, as well as the analysis of the problems existing in history.

Keywords: historical process, psychological factor, interpretation of history, concept of dispute and conflict, by Ali Al-Wardi